

LarbiTebessi University - Tebessa

جامعة العربي التبسي - تبسة

Faculty of Humanities and Social Sciences

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

Department of Philosophy

قسم الفلسفة

الميدان: علوم إنسانية و اجتماعية
الشعبة: علوم إنسانية
التخصص: فلسفة غربية حديثة ومعاصرة

الاتجاه البراغماتي في فلسفة جون ديوي التربوية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر ل م د

دفعه: 2021

تحت إشراف الأستاذ:

زيات فيصل

من إعداد الطالبة:

جماع أمينة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
د. مالك سماح	أستاذ محاضر - ب-	رئيسا
د. زيات فيصل	أستاذ محاضر - أ-	مشرفا ومقررا
د. احمد معط الله	أستاذ محاضر - ب-	عضوا ممتحنا

LarbiTebessi University - Tebessa

جامعة العربي التبسي - تبسة

Faculty of Humanities and Social Sciences

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

Department of Philosophy

قسم الفلسفة

الميدان: علوم إنسانية و اجتماعية
الشعبة: علوم إنسانية
التخصص: فلسفة غربية حديثة ومعاصرة

الاتجاه البراغماتي في فلسفة جون

ديوي التربوية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر ل م د

جامعة العربي التبسي - تبسة

من إعداد الطالبة: جامعة أمينة

تحت إشراف الأستاذ:

زيات فيصل

جماع أمينة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
د. مالك سماح	أستاذ محاضر - ب-	رئيسا
د. زيات فيصل	أستاذ محاضر - أ-	مشرفا ومقررا
د. احمد معط الله	أستاذ محاضر - ب-	عضوا ممتحنا



إذن بالطبع

أنا الممضي أسفله الأستاذ(ة): زيات فيصل
المشرف على مذكرة ماستر بعنوان: الاتجاه البراغماتي
في فلسفة جون دوي التربوية
والمكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص: فلسفة غربية حديثة ومعاصرة بعنوان
السنة الجامعية 2021/2020.

إعداد الطالب (ة): جماع أمينة

تتوفر فيها الشروط المنهجية والعلمية، الشكلية والموضوعية، التي تؤهلها للمناقشة العلنية بعد
تشكيل لجنة المناقشة، وبناءا عليه أوقع على هذا الإذن للطالب(ة) المعني(ة) بطبع المذكرة وإيداعها
لدى إدارة قسم الفلسفة بنسخها الورقية والالكترونية.

تبسة في: 08 جوان 2021

توقيع الأستاذ(ة) المشرف:

Latifa



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
Faculty of Humanities and Social sciences

قسم الفلسفة

تصريح شرفي

بالالتزام بالأمانة العلمية لإنجاز البحوث
ملحق القرار رقم 933 المؤرخ في 20/02/2016

أنا الممضي أسفله:

الطالب(ة): جماع أمينة صاحب(ة) بطاقة التعريف الوطنية أو رخصة سياقة رقم: 104892308

الصادرة بتاريخ: 31-05-2017 عن دائرة/بلدية: تبسة

المسجل في السنة الثانية ماستر تخصص: فلسفة غربية حديثة ومعاصرة.

والمكلف بإنجاز مذكرة ماستر بعنوان: الاتجاه البرغماتي في فلسفة جون ديوي التربوية

إشراف الأستاذ(ة): الدكتور زيات فيصل

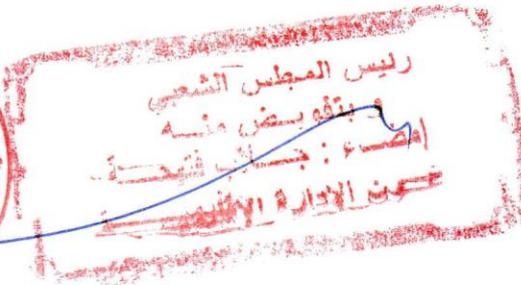
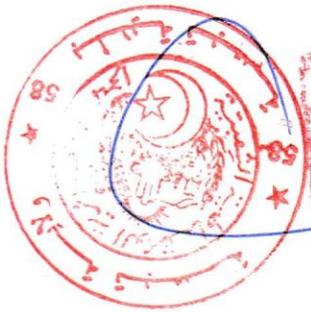
أصح بشرفي أنني ألتزم بالتقيد بالمعايير العلمية والمنهجية والأخلاقية المطلوبة في إنجاز البحوث

الأكاديمية وفقا لما نص عليه القرار رقم 933 المؤرخ في 20/07/2016 المحدد للقواعد المتعلقة

بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها.

التاريخ: 14-06-2021

إمضاء المعني بالأمر



تشكرات

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة و وفقنا لإنجاز هذا العمل.
نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على
انجاز هذا العمل، ونخص بالذكر الأستاذ زيات فيصل لقبوله الإشراف على هذا
البحث الذي قطع معنا شوطاً مهماً، و الذي لم ييخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة.
و الذي كان عوناً لنا لإتمامه.
لا يفوتني التوجه بالشكر لكل من ساهم في دعمي وتشجيعي لانجاز هذا البحث من
عائلي وأحبائي.

إهداء

إلى من لا يمكن للكلمات أن توفي حقهما و لا يمكن إحصاء فضائلهما

والدي الكريم وأمي الغالية

إلى من إذ ذكرته جفت أقلامي

زوجي و رفيق دربي الذي أتمنى له التوفيق و الوصول إلى أعلى الدرجات العلمية

إلى ابني وقرّة عيني عبد الرحمان

إلى نبع الحنان ونبض الفؤاد ابنتي جنى

إلى أخي عبد النور وأختي أحلام وإلى كل أصدقائي الأوفياء

إلى كل من وسعته ذاكرتي ولم تسعه مذكرتي فلهم مني ألف سلام

الفهرسة

فهرس المحتويات

التشكرات

الإهداء

الفهرس

المقدمة ١- هـ

الفصل الأول : معالم الفكر العملي عند جون ديوي

تمهيد 7

المبحث الأول: ديوي والفكر الاداتي

المطلب الأول: المرجعية الفكرية لجون ديوي..... 8

المطلب الثاني: الفلسفة الأداةية..... 11

المطلب الثالث: نزعة الأفكار التربوية عند جون ديوي..... 16

المبحث الثاني: الفلسفة والتربية بين المفهوم والعلاقة

المطلب الأول: ديوي وإعادة بناء الفلسفة..... 22

المطلب الثاني: تجديد رؤية ديوي التربوية..... 30

المطلب الثالث: مفهوم فلسفة التربية عند جون ديوي..... 38

خلاصة الفصل..... 42

الفصل الثاني: إستراتيجية فلسفة التربية الديوية و آثارها

تمهيد..... 44

المبحث الأول: خصائص المدرسة التجريبية لديوي

المطلب الأول: الطفل محور العملية التربوية..... 45

المطلب الثاني: الاتجاه العملي للمدرسة..... 46

المبحث الثاني: التربية العملية عند ديوي

المطلب الأول: المدرسة عند جون ديوي..... 52

المطلب الثاني: طريقة المشروع عند جون ديوي..... 67

المبحث الثالث: المنظور النقدي لمشروع ديوي

المطلب الأول: أهمية مشروع ديوي التربوي..... 74

المطلب الثاني: انتقادات الفكر التربوي عند جون ديوي..... 77

81.....	خلاصة الفصل
83.....	الخاتمة العامة
87.....	قائمة المصادر و المراجع
	الملخص باللغة العربية
	الملخص باللغة الفرنسية

المقدمة

المقدمة

لقد شهد العالم في القرن العشرين نقلة فلسفية وحضارية من البلدان الأوروبية بروادها الألمان والإنجليز إلى العالم الجديد، فأصبحت القيادة الفلسفية في يد الولايات المتحدة الأمريكية، ولأن لا وجود لتربية بدون قواعد فلسفية فقد ظهر من المرين الأمريكيين من يحمل مشعل فلسفة التربية، وليس غريبا أن الغالبية العظمى من الفلسفات والحركات التربوية ظهرت على أرض أمريكا، في علاقتها الثقافية والسياسية والاقتصادية، وليس التأثير على الدول الأوروبية فحسب بل حتى على الدول الإفريقية والآسيوية؛ وهذا لامتياز العلماء والمرين الأمريكيين بالتححرر الفكري والحب الصادق للتجربة والبحث العلمي. وما يتمتع به المجتمع من حرية سياسية أكاديمية تشجعهم على البحث ماديا ومعنويا.

والأهم تماشي هذه النظريات التربوية مع نتائج الأبحاث النفسية والتربوية والاجتماعية ومع مبادئ الديمقراطية ومتطلبات المجتمع الصناعي الحديث، وهذا كله ساعد على سرعة تطور التفكير التربوي الأمريكي وتقدمه، وعلى جعله يحتل مركز القيادة وممن تولى هذه القيادة أكثر من أي مربي أمريكي آخر، هو الفيلسوف والمربي "جون ديوي" ضمن التيار البراغماتي الذي يندرج تحت الفلسفة التقدمية هذا الفيلسوف قضى حياته بيني سقفا تربويا عظيما لازال قائما إلى يومنا هذا، ذلك لإيمانه بوحدة العالم ووحدة الشخصية الإنسانية واحترام الناس، وبقيمة الذكاء البشري في إصلاح المجتمع وتقدمه وتقديسه للعمل وتأكيده على الخبرة والتجربة كمصدر للمعرفة؛ وبهذه الأفكار جعل التربية كأداة تضمن إعداد مجتمع متطور؛ لأنها تربية لا تقوم على الأحلام والآمال؛ بل هي قائمة على فهم هذا العالم المتغير وترسم المبادئ والأسس التي تحكمه، وبالتالي فالنظرية تتناسب وتنسجم تماما مع المجتمع الحديث. ولتحقيق فلسفة واعية للحياة الإنسانية. قام جون ديوي ببناء مشروعه وفكره على قواعد فلسفية مثلت المنطلقات، والتربية هي المختبر لهذه الأفكار وبهذا كان فكرا متقدما ومازال له الأثر العميق في الميدان التربوي في كل أنحاء العالم.

1- أهمية البحث:

إن اهتمامي بالبحث في فلسفة التربية انطلاقا مما قدمه "جون ديوي" بغرض الوصول إلى بلورة نظرة متكاملة حول طبيعة فلسفة التربية من خلال الربط بين ميدانين مهمين في حياته وهما الفلسفة والتربية، ولقد حرصت على تجسيد هذا الاهتمام في هذا البحث الأكاديمي والذي سميته بعنوان "الاتجاه البراغماتي في فلسفة

جون ديوي التربوية"، فاهتمامي بهذا الموضوع هو رغبة مني في جمع أفكار "جون ديوي" المتعلقة بالتربية والبحث فيها بحثاً علمياً من خلال مؤلفاته التي تضمنت تلك الأفكار وتوزعت عليها للوقوف على العلاقة بين الفلسفة وإنتاجه التربوي الضخم. و تفعيل علاقة الإنسان و بيئته لقد رأيت في الكثير من المحاولات الأكاديمية التي درس أصحابها "جون ديوي" إجماعاً على أن الإسهام التربوي أهم ما ميز هذه الشخصية، مع أن هذه الأعمال لم تبرز بما هو كفاية لفلسفته التربوية رغم تركيزها على فكاره السياسية والاجتماعية والجمالية.

2- أسباب اختيار الموضوع:

اختيارنا لهذا الموضوع كان بحكم الدافع المعرفي إلى جانب الدافع الذاتي:

- الرغبة في الاستفادة و التعرف على طرق التعليم عند جون ديوي
- الرغبة في دراسة "الفكر الفلسفي البراغماتي" كونه يعبر عن واقع المجتمع الأمريكي الناجح
- محاولة الاطلاع على فلسفة "جون ديوي" و مدى تأثيرها على الفلسفات الأخرى. بغرض توضيح الجانب المعرفي والعملي في مجال الفلسفات المعاصرة.

3- أهداف البحث:

توضيح فلسفة جون ديوي في إطارها العملي والمعرفي و المساهمة في إثراء الدراسات الفلسفية وخاصة في مجال التربية، والتي لم تنل قدراً من الاهتمام والاعتناء، وأن يوضح للمربين عامة الخلفية الفلسفية لأهم الرؤيا التربوية القديمة ودورها في تربية النشء وكذا محتوياتها وطرقها وأهدافها.

4- الدراسات السابقة:

- في إطار الحديث عن الدراسات التربوية فقد حظيت فلسفه ديوي بدراسات مختلفة قام بها العديد من الباحثين والمربين واهم هذه الدراسات الأكاديمية التي أنجزت حول ذلك والتي لها صلة بموضوع بحثنا نجد :
- دراسة حسين عبد السلام حول فلسفه التعلم بالعمل عند جون ديوي وأهميتها في استراتيجيه الإصلاح التربوي الجديد في الجزائر مذكوره للنيل شهادة الماجستير في الفلسفة بجامعة الجزائر لسنة 2007-2008

-دراسة زهية مناصري بعنوان "الأخلاق عند جون ديوي" مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة بجامعة الجزائر
2006 2007 .

-دراسة محمد الجديدي في كتاب بعنوان "فلسفه الخبرة جون ديوان أنموذجا الذي نشره سنه 2004 تناول فيه
فلسفه الخبرة عند ديوي وتطبيقاتها في مجال المنطق والمعرفة والتربية. تبقى دلالة الرجوع إلى هذا البحث القائم في
التحري على جانب مهم في فلسفه تي في التي تعطي للتربية مكان مركزيه بهدف إعادة النظر والتأكيد على علاقة
المدرسة بالمجتمع لإخراج العملية التعليمية من جدران المدرسة إلى بناء المجتمع فقد كسر الحديث عن الوسائل المادية
والسياسية للإصلاح والتقدم الاجتماعي في هذا العصر متناسين أن التربية التي أساسها الإنسان الذي هو مصدر
كل إصلاح.

5- منهج البحث:

للإجابة على إشكالية الموضوع واختبار الفرضيات إضافة إلى تحقيق الأهداف المرجوة منه، تم الاعتماد في
الدراسة منهجا تحليليا لإبراز حقيقة فلسفة التربية عند "جون ديوي" إذ توجهت إلى نصوصه بالقراءة والتعليق
وتحليل أفكارها والربط فيما بينها بغية استخلاص مبادئه الفلسفية في التربية والوقوف على جوهر فلسفة التربية
عنده ومن باب الفحص المنهجي الموضوعي.

كما استعملت المنهج المقارن حينما كان مجال المقارنة متاحا بين أفكار "ديوي" التي قدمها مع غيرها من
الأفكار لإبراز مدى تأثيره وتأثيره، كذا المنهج النقدي و هذا باستعراض جملة من الآراء النقدية حول براغماتية
"ديوي"، بناءً على ما سبق ذكره وخصوصا في عرض بعض النظريات التربوية التي عني بها من حيث النقد أو
التممين حيث تتبعت مسارها الزمني لتكون لها صورة تاريخية واضحة المعالم.

6- هيكل البحث:

بالنظر إلى أهمية البحث، ومن اجل تحقيق أهدافه جاءت موضوعات البحث في مقدمة وفصلين وخاتمة
على النحو التالي:

مقدمة وتمت الإشارة فيها إلى الموضوع والى طرح الإشكالية. و الفصل الأول كان بعنوان "معالم الفكر العملي عند
جون ديوي" و يشتمل على ثلاث مباحث: المبحث الأول تحت عنوان "المرجعية الفلسفية لفكر جون ديوي

التي تأثر بها "أي المدارس العلمية والنظريات الفلسفية، المبحث الثاني "الفلسفة الأدائية" التي يركز عليها فكر "جون ديوي"، أما المبحث الثالث "نزعة الأفكار التربوية لجون ديوي" تتضمن أفكار "ديوي" نحو المجتمع والتربية. أما الفصل الثاني المسمى إستراتيجية فلسفة التربية "الديوية" وآثارها نجده يتكون من ثلاث مباحث: المبحث الأول: خصائص المدرسة التجريبية لديوي أما المبحث الثاني التربية العملية عند ديوي أما المبحث الثالث والأخير المنظور النقدي لمشروع ديوي و ذلك من خلال تقييم فلسفة "ديوي" و بعض الآراء الموجهة له، و خالصنا في الأخير إلى حوصلة ختامية لكل ما قمنا بعرضه.

7- طرح الإشكالية

مما سبق يمكن صياغة و طرح الإشكالية الرئيسية لهذا البحث على النحو التالي:

- إلى أي مدى انعكست الفلسفة الأدائية في ربط المدرسة بالمجتمع؟

- فيما تتمثل امتدادات فلسفة التربية عند جون ديوي؟ وكيف طبقت هذه الأفكار وما السبيل لتقييمها؟

لمعالجة هذه الإشكالية الرئيسية يتطلب الأمر الإجابة على الأسئلة الفرعية التالية:

ما هي معالم الفكر التربوي عند جون ديوي؟

ما هي نظرتة للفلسفة وما مفهومه للتربية؟

ما هو المنهج القويم لهذه التربية؟

8- فرضيات البحث:

بعد الاطلاع على الأبحاث السابقة المرتبطة بالموضوع، نجد أن أكثر الإجابات ملائمة للأسئلة المطروحة نتحقق منها في سير بحثنا هذا لنفترض أن طبيعة العلاقة بين المدرسة والمجتمع علاقة تفاعلية تكاملية لإثباتها ينبغي منا الإجابة على الفرضيات الجزئية وهي تنبع من وجود القواعد النظرية التي تؤسس لهذه الفلسفة التربوية هي إن كان المجتمع يمثل المجال أوسع للتربية والتي لا تتحقق بدونها فان المدرسة هي نواه ذلك المجتمع من جهة التي تعبر عن حاجياتهم متطلباته وهي في الوقت نفسه مرآة تعكس ما يقوم به المجتمع وما ينتظم به من قوانين.

9- الصعوبات و العوائق التي واجهتنا في إنجاز هذا العمل ضمن هذه المذكرة:

- عمق فلسفة جون ديوي و ذلك بشموليته لجميع الأفكار الفلسفية
- شساعة الموضوع و كثرة المراجع إلا أنّ الأفكار مكررة و متشابهة

الفصل الأول:

معالم الفكر العملي عند جون

ديوي

تمهيد:

تعتبر انطلاقة الفيلسوف الأمريكي "جون ديوي" انطلاقة تمحورت بتغير الواقع الأمريكي محاولاً إصلاحه في مختلف المجالات ورافق ذلك استقراره الفكري و الفلسفي على التوجه البراغماتي بعد عدّة مراحل مختلفة، ينتهي إلى البراغماتية كمذهب عام و الأدوات كتوجه متميز، الذي بنى عليه أفكاره التربوية و مناهجه الإصلاحية.

كانت التربية أوّل ما اتّسم به تفكيره الفلسفي متجاوزاً كلّ العوائق بأسلوب أداتي متميز، ولقد وجدت أداتيته واضحة في كلّ خطوة خطاها في بناء نظريته التربوية، كان هدف الفيلسوف البراغماتي "ديوي" التعبير عن النزعة العلمية التي سيطرت على الفكر البراغماتي الأمريكي، حيث حاول عبر مشروعه الكبير (تجديد وإصلاح الفلسفة و العلوم)، باطلاعه على مجموعة من المعارف والإنجازات القبلية فكانت أداتيته تعبيراً خاصاً حول رؤيته للعلم و الفلسفة، جاهداً للبحث عن طرق صحيحة لاستخدامها في البحث العلمي.

المبحث الأول: ديوي والفكر الاداتي

المطلب الأول: المرجعية الفكرية لجون ديوي

اتَّخذت الفلسفة الأمريكية، مسارها التاريخي، من خلال متابعة الفلاسفة الأمريكيين للتراث الفلسفي العالمي الذي كان له قواعد و أصوله، فلاسفة الإغريق من أمثال سقراط، أفلاطون و من فلاسفة العصور القديمة ومرورًا بفلاسفة القرون الوسطى وكذا المعاصرة، حيث كانت الولايات المتحدة قد اهتمت بالأفكار الفلسفية الأوروبية وتغييرها محاولةً لإيجاد لها و لمفكرها نسقٌ واحد. " الحال أنه ليس أولى لها بارتباط فلسفة من الفلسفات بحياة أمة من الأمم، من ارتباط الفلسفة بحياة الأمة الأمريكية"¹، كانت أمريكا ابتكارًا أوروبيًا، فدستورها يقوم على أساس المبادئ الفلسفية لعصر التنوير.

تميز تطور الفلسفة الأمريكية عبر مراحل التي مرّ منذ الاستقلال عام 1776 م، على الرغم من شموليتها لكلّ مجالات الحياة، بجانبها النظري والعملي، فقد تميزت بالتحصص في كل المجالات المذكورة بما يحقق نوعًا من التكامل في البحث الفلسفي بالعمق والغوص في القضايا الفكرية والمذاهب والنظريات الفلسفية المختلفة وأبرز الفلاسفة الأمريكيين، الذين حملوا عوامل التطوّر بالفلسفة في الجانب النظري والعملي منهم جون ديوي ت ظلت « الفلسفة البراغماتية عامة منذ القرن التاسع وعشرون حتى نهايات القرن العشرين تقريبًا مقرونة لدى العديد من الأمريكيين بالنجاح المادي الذي حقّقه الولايات المتحدة الأمريكية في مختلف الميادين²»، فكانت هذه الفلسفة الناشئة أي البراغماتية منسجمة مع الروح الأمريكية.

كانت لها القدرة على تشكيل الظروف و تغييرها و ربط التفكير بالعمل و اعتمادها على النتائج كميّار تُقاس به الحقيقة وكانت أنسب وأفضل الفلسفات التي تنطبق على الروح الأمريكية و كان لها أثر واضح في الفكر المعاصر.

تميزت الفلسفة الأمريكية دائمًا بأنها فلسفة براجمتية بالرغم من أنّها كانت فلسفة مستقبلية لكلّ التيارات الفلسفية، لكن التاريخ الأمريكي سيحمل المبررات التي تشير كلّها إلى تعمق المنهج البراجماتي في التجربة الفلسفة

¹ بيتركاز، تاريخ الفلسفة في أمريكا خلال 200 عام، تر: حسني نصار، مراجعة مراد وهبة، مكتبة الأنجلومصرية، مصر، ص 14.

² حيرش سمية، البراغماتية بين العقل و التصوّف، مجلة لوجوس الفلسفية، دار الكنوز، تلمسان، العدد التجريبي، أبريل 2011، ص 50.

الأمريكية "وعادةً ما يوصف مصطلح البرجماتية بأنه حركة أمريكية متميزة"¹، كانت الفترة من 1880-1940 سبب ظهور عدد من المفكرين والحركات في الفلسفة .

إن الفلسفة الأكثر أهمية و هي الفلسفة الأمريكية المستقلة حقًا فهي البرجماتية التي رفضت الآراء الفلسفية العقلية و التجريبية التقليدية عن المعرفة باعتبارها تجربة ذهنية خاصة"يتطلب التحقق من معنى أي مفهوم ذهني اعتبار المترتبات العملية التي يُمكن للمرء تحيّل نشأتها ضرورة عن صدق ذلك المفهوم فمجموع تلك المترتبات يشكل معناه الكلي"²، و هكذا توضح لنا أنّ إعلان استقلال أمريكا كان نتيجة للكتابات الوطنية التي تعبّر عن فلسفة تبلورت من خلال السوابق الأوروبية.

فالإنسان هو ثمرة البيئة التي عاش فيها، والعصر الذي ولد فيه وخاصةً فيما يتمثل بالاتجاهات العلمية اما" في أمريكا فقد اتجهت الحياة الفكرية وجهة أخرى تتفق مع اتجاهات الناس في هذا العالم الجديد وهي تلك الاتجاهات العملية التي يتميز بها رجال الأعمال الذين يهتمهم في المحلّ الأول تحقيق النجاح في الحياة"³، من بينهم "جون ديوي" الذي قام بالتوسع في أفكار بيرس و إضافة آفاق جديدة.

مرّ الإنسان بمراحل كثيرة في حياته الفكرية العائمة، أي في التصورات التي قدّمها عبر العصور حول العلاقة البيئية ليحاول من خلالها أن يدرك تلك الأشياء و يستخدمها ليبرز معرفته للعالم ، حيث قام ديوي بالتعبير عن حياة أمته بالتطرّق لكلّ المشاكل الاجتماعية و حلّها عن طريق الأفكار والمواقف و التجارب المنهجية.

تقدّر قيمته على أساس قدرته على مواجهة الظروف التي كانت هي ذاتها مصدر نشأته، و لقد تأثر ديوي بما ذهب إليه ش.س. بيرس من أنّه كلّ أنواع الفكر هي حركة تتجه من موقف يثير الشكّ إلى موقف اعتقادي مستقر فالبيئة الأمريكية و التي كانت جذور قبلية، تبدأ من الفيلسوف هارفارد، وهوايتهد.

كما غلب تأثرهم بفلسفة هيغل « ورغم أنّ الفلسفة الهيجلية أثّرت في شبابه كما برح لها مطلقًا، وعالمها الأزلي وهو أشدّ واقعية من العملية الزمانية... إنّ حب ديوي لما هو عضوي، يرجع في جزء منه إلى علم الحياة وفي الجزء الآخر للنفوذ "هيجل" الباقي لديه»⁴ حيث تأثر بالمنطق الأرسطي و إعادة إصلاح المطلوب في المنطق و

¹ تشارلس موريس، رواد الفلسفة الأمريكية، تر: إبراهيم مصطفى إبراهيم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1996، ص 24 .

² نجيب الحصادي، تقرّظ المنطق، منشورات جامعة قاديونس، بنغازي، ط 1، 1995 ، ص 3 .

³ يحي هويدي، قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، 1993 ، ص 133 .

⁴ براتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، تر: محمد فتحي الشنيطي، دار المصرية العامة للكتاب، 1977 ، ص.ص 382-378.

كيف ينبغي تجديده، و ذلك بالعودة إلى المنطق الأرسطي و الجذور التي انبثق منها في جانبيين، الجانب البيولوجي، و الجانب الثقافي.

ويذهب ديوي إلى أنه ينبغي التخلي عن أنفسنا باعتبارنا كائنات طبيعية لتكيف مع الظروف و كان الهدف من هذه التأثيرات، تمثل الجانب الذاتي في الإنسان خاصة بعد تأثر معظم أعلام الفلسفة بالنظرية الداروينية في النشوء و التقدم و تأسيس فكر فلسفي جديد و خاصة في المجتمع الأمريكي و محاولة كل مواجهة كل الظروف الطبيعية و البيئية، مفادها السعي وراء التطور و التجديد و البحث عن عوامل النجاح.

يتضح لنا أنّ مذهب ديوي الفلسفي، كان ثمرة لمجموعة من النظريات العلمية و الفلسفية، التي قام بالدفاع عنها و محاولة تغييرها إلى الأحسن فكان إصلاح المجتمع هو الهدف الرئيسي لجون ديوي، «ويرى أنّ كتاب "أصل الأنواع لداروين" يمهد هذا الطريق لإعادة بناء الفلسفة حين يدفعنا إلى أن ننظر إلى أنفسنا بوصفنا مخلوقات ينبغي يتكيف بعضها مع البعض الآخر، و مع ظروف البيئة من أجل البقاء، و هذا التركيز على التكيف يتطلب في مجال الفلسفة انصرافاً عن "المذهب" و إلى المنهج، و عزوفاً عن النتائج المحددة، إلى عملية البحث نفسها¹» وهكذا كان لديوي إيمان كبير بأنّ كلّ الأشياء قابلة للتغيير في حياتنا.

كان للثورة التي أحدثتها النظرية الداروينية أثر كبير في المجال التربوي مع ديوي، حيث يعتقد «ان حياة الإنسان ليست في جوهرها إلا محاولة متصلة من جانبه لتحقيق التوافق مع البيئة المحيطة²». فلاقى هذه النظرية التي أسسها التطور اهتماماً خاصاً في الفلسفة الألمانية و التي تأثر بها "ديوي" في انطلاقة الفلسفة و يظهر هنا جلياً تأثير النظرية التطورية في بلوغ "ديوي" لأفكاره التربوية و يتجلى تأثيرها أكثر في اعتباره الطفل حيواناً يتمّ تنميته كي يعيش بنجاح في هذا العالم المتغير بحرية و دون تدخل في هذا التمويل ينبغي أن تفعل كلّ ما تستطيع فعله حتى ينمو جسمه و عقله نموّاً خالصاً حرّاً متكاملًا³»، كما يرى "ديوي" أنّنا لا نستطيع التفريق بين الإنسان والطبيعة.

¹ فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجبل، بيروت، ط1، 1993، ص119.

² يحي هويدي، مرجع سابق، ص138.

³ البار عبد الحفيظ، فلسفة التربية عند جون ديوي، مذكرة لنيل الماجستير في الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية، قسنطينة، 2009، ص

و نستنتج ممّا سبق أنّ النظرية الداروينية كان لها صدى كبير في المجال العلمي و الفلسفي خاصة، حيث حيث ساهمت في ظهور العديد من النظريات و تطورها، و كان "ديوي" من أهمّ المتأثرين بأفكار النظرية التطورية، قام بتوظيف أفكار خاصة في الميدان التربوي و تغيّرات البيئة و الفرد.

نجد أنّ هناك أيضًا تأثير سيكولوجي لأداتية "جون ديوي"، فقد كان هذا التأثير واضح « فالأثر السيكولوجي على الأداتية فهو من طبيعة بيولوجية، و يتصل بمذهب واطسن في السلوكية، فالمخ عضو يُستقّ المؤثرات الحسيّة في سبيل إحداث استجابات ملائمة»¹، فكان الفلاسفة الأداتيون يُقرّون بأنّ « اتحاد مبادئ المنطق المعيارية مع عمليات التفكير الحقيقية القائمة على علم نفس بيولوجي لا على علم نفس تأملي لحالات الشّعور ممّا جعل "ديوي" يؤمن بأنّ العقل هو المصدر الوحيد لكلّ سلوك ناجح لأنّه يجمع بين السلوك البيولوجي و التأمل المنطقي»².

ويتضح لنا من خلال ما سبق أنّ هذه النظريات في علم النفس الحديث كانت سببًا في وصول "ديوي" لفلسفته الوسيلية التي ميزت جميع ميادين دراسته و بخاصة الميدان التربوي، مما ساعد على صياغة نظريته في التربية، ومكّنته من تجاوز التصورات المجردة الخاصة بها و جعلها وثيقة الصلة بالوقائع و قابلة للتطبيق في الكثير من المواقف وأصبحت بذلك أداة تحسّن الحياة و تطورها، وعلى هذا بني أفكاره التربوية ومناهجه بأسلوب أداتي متميز .

المطلب الثاني: الفلسفة الأداتية

بالعودة إلى المعاجم من أجل تحديد مفهوم "الأداتية" كمفهوم فلسفية نجد في القاموس الفلسفي "عرب فرنسي" أداة آلة (outil instrument, appareil matériel)، أمّا في الاستعمال الفلسفي في معجم ضرب من البرغماتية اصطنعت جون ديوي لدلالة instrumentalism، "مراد وهبة" كلمة، نجد على أنّ المعرفة آلة أو وظيفة في خدمة مطالب الحياة، يقول "ديوي" إنّ المعرفة العقلية آلة ضبط عندما تصادفنا عقبة و نجدها في دليل أكسفورد للفلسفة مذهب يقرأ النظريات العلمية ليست وصفًا صادقًا لواقع غير نجدها في معجم لالاند "بمعنى آخر بأنّها لون من ألوان الذريعة: مذهب" جون ديوي "التميز من وجه آخر بالقول إنّ كلّ نظرية هي آلة أداة

¹ أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي: نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1968، ص91 .

² المرجع نفسه، ص92 .

للعمل و التطور و الاختبار¹ و هي ضرب البرجماتية قال به " ديوي " هي أنّ المعرفة أداة للعمل و وسيلة للتجربة² « و نجدها في دليل أكسفورد للفلسفة » مذهب يقرأ النظريات العلمية ليست وصفاً صادقاً لواقع غير ملاحظ، بل مجرد أدوات مفيدة تمكّن من ترتيب و توقع العالم الملاحظ، تأثرت الصيغ التقليدية من الأدوات بالنظريات التحقيقية في المعنى فأقرت أنّ مزاعم النظرية حول ما يلاحظ لا تجتاز حقيقة على معنى، ثم صيغ أحدث للأداتية تركز إلى حجج ارتيائية عوضاً عن الحجج الدلالية... أما الأدوات القيمة يجتاز الشيء، على قيمة أداتية بقدر فعالية (اتفاقاً و قصداً) (في تحقيق قصد مرغوب فيه³).

اثار جدال كبير منذ القديم على معرفة المنطق إذا كان صورة الفكر أم آلة للتفكير فوضع " ديوي " منهجه الأداتي حيث كان عليه إلى رجوع منطق أرسطو «فالقول بأنّ التفكير أداة لبلوغ الحق وأنّ هذه الأداة مشكلة من نفس الموضوع الذي تطبق عليه إنّما هو عودة إلى التراث الأرسطوطاليس في المنطق»⁴ فكان قد استلزم أن يكون هناك منهج جديد لاستخدامه في العلوم الحديثة يختلف تماماً عن المنهج القديم أيّ أداة أخرى، فقام " ديوي " بتسميته الأداة، فالأفكار و القوانين لا تعكس يد حقيقة موضوعية بل هي أداة أو وسيلة لتسهيل المنفعة.

ومن هنا تبدأ الأدوات عند جون ديوي: أنّها محاولة لوضع نظرية منطقية دقيقة عن التصورات والأحكام والاستدلالات في شتى صورها بالنظر قبل كل شيء إلى التفكير كيف يعمل في تحديد النتائج المستقبلية تحديداً تجريبياً، وبعبارة أخرى تحاول الأدوات أن تضع قواعد منطقية يعترف بها عامة عن طريق استخلاصها من وظيفة العمل المتوسط والمبدعة والتي تنسب إليه، والغرض من الأدوات تكوين نظرية عن الصور العامة للتصور والاستدلال⁵. لا عن هذا الحكم أو ذاك أو هذا التصور أو ذاك في علاقته بمضمونه.

وهناك أثر بسيكولوجي على الأدوات فهو من طبيعة بيولوجية، ويتصل بمذهب واطسن في السلوكية. فالمخ عضو ينسق المؤثرات الحسية في سبيل إحداث استجابات ملائمة وتذهب نظرية التطور العضوية إلى أن تحليل العقل وعملياته متفق مع الحقائق البيولوجية المعروفة، فالجهاز العصبي المركزي يشغل مكاناً متوسطاً يلاءم بين

¹ أندره لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 2001، ص 681 - 682.

² إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983، ص 05.

³ تد هوندترتش، دليل أكسفورد للفلسفة، ج 1، تر: نجيب الحصادي، المكتب الوطني للبحث، ليبيا، ص 30.

⁴ كي نجيب محمود: من زاوية فلسفية، دار الشرق، القاهرة، 1993، ص 219-220.

⁵ أحمد فؤاد الأهواني، مرجع سابق، ص 93.

حاجات الكائن الحي والبيئة وقد أعلن الأداتيون في ذلك الحين اعتقادهم في اتحاد مبادئ المنطق المعيارية مع عمليات التفكير الحقيقية القائمة على علم نفس بيولوجي لا علم نفس تأملي لحالات الشعور¹.

يرى ديوي أن حياة الإنسان ليست في جوهرها إلا محاولة متصلة من جانبه لتحقيق التوافق مع البيئة المحيطة. وإذا لم يستطع تحقيق هذا التوافق فإن مصيره حتما إلى الموت، لكن ما سبيل الإنسان لتحقيق هذا التوافق؟ إنها أفكاره، فأفكار الإنسان ليست إلا الوسائل أو الذرائع التي يتلمس بها طريقة تحقيق هذا التوافق والتجربة السلوكية للإنسان في الحياة تكون ناجحة بقدر اهتمام الإنسان إلى أفكار تمثل محاور ارتكاز في البيئة وذرائع تعبد له الطريق إلى السيطرة عليها ولهذا فإن الأفكار التي يتحدث عنها ديوي ليست أفكارا مجردة وليست أحكاما منطقية نظرية كتلك التي اعتاد المناطقة أن يقدموها لنا ويربطون فيها بين موضوع عقلي ومحمول لهما في الواقع بل هي بالأحرى تكبر عن أحكام تتبع من الواقع ويكون موضوعها ومحمولها معبرين عن موقف تجريبي معين².

ومن هنا يتبين لنا أن وظيفة العقل ليست مجرد نسخ الأشياء الموجودة في البيئة، بل أن تأخذ في الاعتبار من العلاقات ما هو أفعل في هذه الأشياء وأصلح لها في المستقبل. فالأداتية تجعل للتفكير وظيفة وضعية، وهي إعادة تكوين الحالة الراهنة للأشياء لا مجرد معرفتها أو اتخاذ نسخة منها فالتفكير واسطة لاستجابات معقدة مع مؤثرات البيئة. وإذا طبقنا هذه النظرية البيولوجية على الأحكام المنطقية كان الموضوع هو جزء البيئة الذي يتطلب الاستجابة، والمحمول هو الاستجابة أو العادة أو الهيئة المحتملة التي لا بد للمرء أن يسلكها بإزاء البيئة والرابطة تمثل الفعل العضوي والمحسوس الذي يتم به الربط بين الواقعة ودلالاتها وأخيرا نجد النتيجة أو موضوع الحكم هو تعديل الموقف في الموضوع أو المحمول أي البيئة³.

فالفيلسوف البراهماتي الذي يصدر أحكاما عقلية شبيهة بالقاضي الذي لا يصدر حكمه إلا بعد أن يكون قد اطلع على معاينة النيابة واستمع إلى أقوال الشهود وعاش جو الجريمة أو الحادثة. ومن ثم لا يجيء الحكم الذي يصدره بعد هذا معبرا عن الوقائع التي عاينها. أما الأحكام العقلية النظرية فليست في نظر ديوي إلا خطوة انتقالية

¹ أحمد فؤاد الأهواني، مرجع سابق، ص 92.

² يحيى هويدي، مرجع سابق، ص 138.

³ أحمد فؤاد الأهواني، مرجع سابق، ص 93.

تمهيدية للأحكام البرجماتية الواقعية، وما أشبه هذه الأحكام النظرية بالفروض العملية التي يلجأ إليها العالم التجريبي والتي لا تصبح قانوناً إلا بعد التحقق من صحتها في المختبر¹.

فالبرجماتي لا يطلق أحكاماً من موضوع معين إلا بعد أن يعاينه ويتحرى عنه ويعيش هذا الموقف أو الموضوع، والأحكام العقلية ما هي إلا خطوة أساسية ينتقل بها البرجماتي إلى الأحكام البرجماتية والواقعية ولا يمكن الحديث عن صحة هذه الأحكام إلا بعد التأكد من صحتها. والبرجماتية نشأت في البيئة الأمريكية فهي تمجد العمل وانتهاز الفرصة والنجاح وكسب المال. وقد أثرت هذه الظروف بلا نزاع على فلسفتها ولكن إلى الحد الذي يجعل الحياة أوفق وأعظم قيمة، فالأداتية تذهب إلى أن العمل يجب أن يكون بصيراً وصادراً عن التدبر وأن الفكر يجب أن يشغل منزلة رئيسية في الحياة، وهذا هو السر في نجاح الأمريكان على غائية الفكر والمعرفة؛ وهي غائية يجب أن تتحقق في الأمور خاصة لا على وجه مجرد.

وأن يكون العقل البصير، هو المصدر دون غيره والضمان الوحيد لمستقبل سعيد². والأفكار هي أدوات تنجز بها بعض النتائج المرغوب فيها، إنها تساعد على أن نعمل شيئاً، أو نفعل على وجه أفضل، أو أكثر ذكاءً، أو أقرب إلى النجاح، خيراً مما لو كنا نعتد على الغريزة أو الاندفاع وحدهما يقول: "إن الأفكار ليست أفكار حقيقية إلا إذا كانت أدوات نستعينها في حل المشاكل-والفكرة من الناحية المنطقية-ليست إدراكاً شاحباً لشيء ما وليست مركباً من عدد من الإحساسات."

يذهب ديوي إلى التأكيد على أن الأفكار لا قيمة لها لو لم تكن لها وظيفة فهي عبارة عن أدوات نستخدمها لحل المشاكل التي تواجه الإنسان ويضيف قائلاً: "أن الرجل المتوحش قد يكون قادراً على تكوين صورة من الأعمدة والأسلاك، ولكن إذا لا يعرف شيئاً عن التلغراف فلن تكون لديه فكرة أو على الأقل فكرة صحيحة عن الأعمدة والأسلاك، ذلك أن الفكرة لا يمكن-عقلياً-أن تتحدر بتركيبها وإنما تتخذ فقط بوظيفتها وفائدتها. وفي المواقف المرعبة أو غير المحددة، ما يساعدنا على تكوين الحكم، وعلى الاستنتاج بواسطة استباق حل ممكن-هو فكرة-وليست شيئاً آخر. إنها فكرة بفضل ما تفعله من إيضاح شكل أو التنسيق بين ما هو متناثر، لا بفضل تركيب طبيعي." وليست مهمة الأفكار الانهماك في التعميمات بل الاستجابة للمواقف الناشئة عن

¹ يحي هويدي، مرجع سابق، ص 139.

² أحمد فؤاد الأهواني، مرجع سابق، ص 94.

مشاكل: ويقدر ما تكتشف عن أنها فعالة، وأدوات ناجحة في علاج هذه المشاكل فإنها تكون أوفر حظا من الحقيقة أو الصحة. إذن: من التجربة نبدأ وإلى التجربة نعود... هذا هو ملخص نظرية البحث التي عرضها جون ديوي في كتابه العظيم "المنطق: نظرية البحث". فالصادق عنده هو ما يفيد، والنتائج تستخدم على أنها اعتبارات لا بد منها للدلالة على صدق القضايا، شريطة أن تتناول هذه النتائج من حيث هي عمليات يمكن إجراؤها، ومن حيث هي وسائل تؤدي إلى حل المشكلة خاصة التي قد استدعت تلك الإجراءات. وكلمة البحث عند ديوي هي ما يعارض به ما يسميه غيره من رجال المنطق بالصدق. فليس هدفه كهؤلاء تحديد للشروط التي يكون بها القول الصادق صادقا. بالمعنى المنطق للصدق - بل هدفه هو تحديد للشروط التي تجعل القول "المنتج"، أداتيا وفعالا. فالبحث عنده تحويل لموقف مشكل إلى موقف محلول الأشكال، أو بعبارة أخرى ليس غايته البحث أن يصف ما هنالك، بل أن يغير ما هو قائم إلى صورة جديدة تخدم أغراض الإنسان في إزاء مشكلاته التي تعترضه.

والأداة التي يستعملها الإنسان في البحث هي التفكير وتفكير هنا هو ذلك التفكير الذي التفكير ينتقل من خبرة إلى أخرى انتقالا متصلا لا انقطاع فيه، ولا نزاع أن هذا الانتقال يستغرق زمانا، كما يتشكل التفكير بمقتضى السياق على مجرى الأحوال. بعبارة أخرى أن عملية البحث يتدخل فيها التفكير والخبرة والسياق والاتصال، ولذلك يسمى مذهب بأي اسم من هذه العمليات مثل التجريبية نسبة إلى الخبرة. والسياقية نسبة إلى السياق ومذهب العمليات العقلية نسبة إلى اتصال عمليات التفكير داخل خبرة. وهذه كلها أدوات للبحث والسلوك في الحياة ومن ثم سمي مذهب الأدوات.

إن كل شيء يدخل في خبرتنا ليس من نوع واحد بالنسبة إلى ميزات المعرفة، يشعر أحد منا بعطش فيشرب بعض الماء ليطفئ ضمأه، فإن كان قد تناول الماء اعتيادا كانت الخبرة الناشئة عن هذا الموقف مختلفة عما يتناول الماء وهو يعرف قيمته وأثره، أو النظر إلى خبرة الشخص العادي عن صورة زيتية، وخبرة الفنان الذي يفحصها، وخبرة البائع الذي يقدر قيمتها على أساس ثمنها فهناك خبرة ليس للتفكير فيها مدخل، وأخرى ينعطف فيها الشخص على نفسه ليفكر ويعرف ويحلل. وهذا النوع الثاني هو الذي يهمننا فلسفيا، ويدعو "ديوي" إلى وجوب اعتبار الذات والموضوع متصلين، وأن الانفصال بين الشخص المفكر وبين موضوعات الفكر انفصالا تاما هو من نوع الثنائيات التي صنعها الفلاسفة وليس لها وجود في الواقع.

فلسفة "جون ديوي" تدعو إلى وجوب الانقلاب والثورة، فلم يكن يسعه إلا أن يكون بفلسفته داعياً إلى تغيير القيم، لأن الحياة التي أحاطت به كانت تسير بالفعل نحو هذا التغيير: "فلو استطعنا أن نحدد الأهداف استطعنا فهم فهم فلسفته، وعندئذ نرى كيف تتكامل آراؤه التي أدلى بها في ميادين مختلفة فيما بينها اختلافاً بعيداً. لكنها مع ذلك تتكامل في نظرة واحدة شاملة لما عساه أن يحقق التقدم في مجتمعنا... وأول ما تعنى به فلسفة ديوي من أهداف هو مشكلات الديمقراطية الأمريكية."

وليس من شك في أن أول حجر يوضع في بناء الديمقراطية هو التربية ومنها ثم كانت التربية أحد ميادينه الأساسية التي خلق فيها وابتكر. وهذا المجال الذي قدم له ديوي الكثير ألا وهو التربية لم يتعد عن محتوى مذهبه البراغماتي فالتربية كذلك لا ينبغي أن تقدم للطفل جاهزة على شكل دروس لا أهمية لها بل يجب أن تتميز بأن تكون أدواتية. وقد عرض ديوي نظريته التربوية مفصلة في كتابه "المدرسة والمجتمع" الذي صدر عام 1916 كما يجب على التربية أن تكيف نفسها وفقاً لما يشعر به الطفل من مشكلات حقيقية وأن يكون هدفها تعليمه ابتكار الفروض واستخراج نتائجها وتمحيصها بالممارسة الفعلية.

فيجب تدريس العلوم بطريقة عملية تأتي عن طريق الممارسة الحقيقية النافعة للحرف والمهن، إذ ينبغي أن تكون المدارس في مجتمع صناعي أشبه شيء بالمصنع الصغير وتقوم بتعليم طلابها بطريقة عملية. وهو في هذا يقول: "لا يتسنى للمدرسة أن تعد الطلبة للحياة الاجتماعية إلا متى كان النظام فيها يمثل الحياة الاجتماعية - والطريقة الوحيدة التي تعد الطالب للحياة الاجتماعية هي الاشتغال بأعمال اجتماعية، وإذ قلنا أن الطالب يستطيع أن يكون عادات اجتماعية بغير الاشتغال بأعمال اجتماعية فإن مثلنا يكون كمثل من يعلم الطفل العوم والسباحة بإتيان حركات فوق اليابسة بعيدة من نهر أو بحيرة أو بحر.

المطلب الثالث: نزعة الأفكار التربوية عند جون ديوي

نشأ جون ديوي محباً للقراءة والاطلاع وكان يقضي وقت فراغه في قراءة الكتب بالمكتبة العامة. وفي جامعة "فرمونت" درس ديوي اللغة اليونانية وكذا اللاتينية والتاريخ والرياضيات والعلوم الطبيعية ونظرية التطور وعلم النفس والفلسفة،¹ وفي السنة الرابعة من الدراسة الجامعية تلقى محاضرات في علم النفس وتاريخ الحضارة، ودرس "جمهورية أفلاطون" التي أثرت في نفسه إلى الأعماق فكتب في سيرته الفلسفية وهي المقالة التي تحمل عنوان "من المذهب

¹ محمد عبد الرزاق شفتق، الأصول الفلسفية للتربية، دار البحوث العلمية، الكويت، ط4، 1986، ص380.

المطلق إلى المذهب التجريبي "يقول ما فحواه" إن قراءتي المحببة هي محاورات أفلاطون وإن الفلسفة الحق هي في الرجوع إليه "فليس من الغريب أن نجد" ديوي "يستعرض أفلاطون ويستلهمه وينقده نقد الخبير.

ثم درس إلى جانب ذلك الفلسفة الإنجليزية بخاصة مذهب "بركلي". واطلع في ذلك الحين من المجالات الفلسفية على فلسفة "أوغيست كونت" فلم يتأثر بنتائجها بمقدار ما تأثر بروحها في الفلسفة الوضعية وفي ضرورة تطبيق العلم على المجتمع وأنظمتها، وفي الصلة بين الظروف الاجتماعية وبين العلم والفلسفة¹.

وقد أشرف الأستاذ "جورج سلفستر موريس" على أطروحة جون ديوي والتي كانت تحت عنوان "علم النفس عند كانط" ولقنه هذا الأخير أصول الفلسفة الهيجلية، وأكد "ديوي" نفسه على أهمية المحاضرات التي قدمها الأستاذ "موريس" وأن تعاليمه الروحية كان لها أثر كبير في تكوينه، كما اعترف بأن فلسفة هيجل قد خلقت أثرا عميقا في كل تفكيره. ولكنه سرعان ما انسلخ عن الهيجلية والكشف المبادئ الأساسية للرؤية التي ناصرها ودافع عنها.

يحاول ديوي أن يجعل المجتمع هو المسير للظروف و تنظيم هذه الحياة و توجيهها و ليس ذلك شيئاً آخر سوى التربية باعتبارها عملية لتكوين النزعات الأساسية الفكرية في الإنسان بقوله «و إذا رضينا ان نفهم التربية على انها عملية تكوين النزعات الأساسية الفكرية والعاطفية في الإنسان تلقاء الطبيعة و أخيه الإنسان، لم نحشى حينئذٍ النظرية العامة للتربية،»²، التي لها اتصال وثيق بالحياة الإنسانية وظاهرة طبيعية في الجنس البشري مفادها أن يصبح الفرد لكل ما خلفته الإنسانية من حضارة.

نجد "ديوي" في نشر فلسفته التربوية بحيث كتبها دستورا لآرائه بعنوان "عقيدتي تربوية" سنة 1897، وقد حققها في مدرسته التي سماها بالعملية و من أهم ما تطرق له في نظريته للتربية تتلخص في «أنّ التربية ظاهرة طبيعية تتمّ لهذه التربية لا شعورياً عن طريق المحاكاة بحكم وجود الفرد و المجتمع بذلك تنقل الحضارة من جيل إلى آخر، و التربية المقصودة تقوم على العلم بنفسية الطفل من جهة و مطالب من جهة أخرى، فالتربية ثمرة علمين هامين هما علم النفس و علم الاجتماع»³، ممّا جعل ديوي يسلم أنّ التربية ضرورة من ضروريات الحياة لانها عملية تفيد الإنسان كونه كائن حي له صلة وثيقة بالتربية و علم الحياة.

¹ أحمد فؤاد الأهواني، مرجع سابق، ص22.

² المرجع نفسه، ص38.

³ المرجع نفسه، ص41.

نادى ديوي باهتمامه بالاعتماد على المدرسة فيما يخصّ نشاط التلاميذ ومشاركته في العمل حتّى تكون هذه المدرسة صورة مصغرة للحياة الاجتماعية لأنّها المكان الذي يكون فيه مختلف العلوم التي يتطرق لها التلميذ في كلّ مجالات الحياة الواقعية أي الواقع الذي نعيشه، و ليست مجرد «نظريات تقرأ في الكتب و تحفظ عن ظهر قلب دون أن تبين للتلميذ ما لها من صلة بالحياة الاجتماعية¹» من حيث يكون نظامها يلائم المجتمع وغير ذلك النظام والهدوء و النظافة مع الفضائل الأخلاقية التي تعتبر تقدم بالنسبة للإنسانية خاصة بالمعاملة في آداب السلوك و أساليب الكلام.

إذا نظرنا إلى المدرسة نظرة الفرد أي العلاقة بين المعلم والطالب أو المعلم والوالدين الطالب تكون نظرة مختلفة عن ما نتظره من أهداف هذه المدرسة لأنّ «أكثر ما يثير اهتمامنا بالطبع التقدّم الذي يحرزها الطفل من معارفنا في نموه الجسدي الاعتيادي وتقدّمه في القدرة على القراءة والكتابة والحساب ومعلوماته في الجغرافية و التاريخ و تحسن طباعه و عاداته في التهيؤ و الاستعداد للأشياء و في النظام و المواظبة²» و يكون ذلك بعمل المدرسة الذي يعتمد على تسهيل الدروس و توصيلها للتلميذ فقط عوض أن يكون عمل صحيح للتعاون والارتباط براحة الفرد من كل واجباته الشرعية.

تمثل وظيفة التربية في «مساعدة الحيوان الصغير النامي العاجز لكي يصبح إنساناً سعيداً ذا أخلاق قادراً فعلاً كفوّاً، ليست التربية شيئاً يقحم على الأطفال و الشباب إقحاماً قسرياً من الخارج، و إنّما هو نمو القدرات الفطرية الكامنة و الكائنات الإنسانية عند الميلاد³»، فمعرفة للوظيفة الصحيحة في سبيلها الأساسي للتقدّم الاجتماعي و تجديده، فكلّما كان هناك تعقيداً في التركيب للحياة الفسيولوجية تزداد الحاجة إلى التعليم و التعلم لأنّ ديوي يرى أنّ عملية و التعلم ليست تجهيز للمستقبل بل عمل الحياة.

وبذلك فان غاية التربية هي مساعدة الطفل ليكون عنصر أساسي نشيط له قيمة كبيرة في المجتمع سواءً في حاضره أو مستقبله، ممّا يجعله يتوافق مع الآخرين و يعيش في وسط بالتعاون معهم مع السعي إلى ترفيه نفسه بإعادة بناء خبراته الخاصة، حيث يرى ديوي أنّ « المعايير التي تحدّد الأهداف الصالحة هي وجوب أن يكون

¹ أحمد فؤاد الأهواني، مرجع سابق، ص41.

² جون ديوي، المدرسة و المجتمع، تر: أحمد حسن الرحيم، مراجعة: محمد ناصر، تصدير: محمد حسين آل ياسين، دار مكتب الحياة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1978، ص31.

³ رالف ن وين، قاموس جون ديوي للتربية: مختارة من مؤلفاته، مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر، القاهرة، 1964، ص57.

الهدف وليد الظروف الراهنة مبنياً على الأمور الجارية فعلاً و على ما في الواقع من وسائل أو صعاب، و ينبغي أن يكون الهدف مرناً قابلاً للتغيّر حتّى يلائم الظروف، و هذا لا يحدث عندما يكون الهدف مفروضاً من الخارج... و ينبغي أن يمثّل الهدف دائماً إطلاقاً فعاليات الإنسان و تحريرها، و ينصبّ أمام كلّ أية أو خاتمة لعملية ما»¹.

فالأهداف الحقيقية تكون نابعة من الفرد بنفسه من نشاطاته و خبراته السابقة لمساعدته في التكيف مع بيئته الاجتماعية و الطبيعية. تقوم التربية بدور فاعل في عملية التنشئة الاجتماعية باعتبارها تهدف إلى بناء شخصية الفرد و تحويله من كائن إلى فرد ذات شخصية إنسانية رفيعة « فالتربية بمعناها الواسع هي العملية التي يتمّ بها تشكيل أفراد إنسانيين في مجتمع معين ومكان معين وأعدادهم لكي يتمكنوا من اكتساب المهارات والقيم والاتجاهات وأنماط السلوك المختلفة، والتي تسيّر لهم التعامل مع البيئة المادية ومع البيئة الاجتماعية التي ينشئون فيها»² تختلف في درجات الصعوبات التي يواجهها المجتمع وقيمه و نظامه الثقافي.

كان الفيلسوف سبنسر قد طالب بزيادة تدريس العلوم في برامج التعليم أمّا ديوي فقد جاء و نادي بتطبيق الطريقة العملية في تدريس العلوم تكون نافعة «و إذ ينبغي أن تكون المدارس في مجتمع صناعي أشبه شيء بالمصنع الصغير، و تقوم بتعليم طلابها بطريقة عملية، يتدرب فيها التلاميذ بإقامة التجارب العلمية والاستفادة من أخطاء هذه التجارب، أو بعبارة أوضح تطبيق نظرية التجربة و الخطأ»³، حيث يكون للعقل نمو مستمر معنا في سائر حياتنا و ذلك بعد التخرج من المدرسة.

يري ديوي أنّ أهداف التربية لها صلة بالنتائج دائماً، حيث يصنع الإنسان مثله بنفسه، و يبيّن الحقيقة لنفسه، لأنّه هو الذي يبحث و يجرب، و من خلال ذلك تتبيّن له الحقائق التي تنفعه في حياته ان تكوين الهدف لدى ديوي ليس بالعملية السهلة بل عملية عقلية معقدة تتطلّب وجود دافع و رغبة لدى المتعلّم، كما يتطلّب ملاحظة الظروف و الملابس الموضوعية المحيطة به، و معرفة لما حدث في الماضي فيما يشبهه هذا الموقف الذي بين يديه ثم تأتي عملية الربط بين ما لاحظته و بين ما استرجعه و محاولة ترجمة الهدف إلى خطة وطريق العمل، فمثلاً المجتمعات المعاصرة، لأنّ صحة الفكرة إلّا بعد اختيارها عن طريق التجربة.

¹ وائل عبد الرحمن التل، أحمد محمد شعراوي، أصول التربية الفلسفية و الاجتماعية و النفسية، دار الحامد للنشر و التوزيع، عمان، 2007، ص 42.

² المرجع نفسه، ص 79.

³ ول ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، تر: فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت - لبنان، 2004، ص 382.

و تتمثل عملية التفكير في نظر ديوي على ثلاث مناهج: « تتضمن الملاحظة الدقيقة للظروف القائمة لمعرفة الوسائل الميسورة لبلوغ الغاية و اكتشاف ما يعترض الطريق من عقبات و ثانيها انها توزع بالتسلسل أو الترتيب الصحيح في استخدام الوسائل التي تسهل اختيار و تنظيم تلك الوسائل باقتصا، و ثالثها تمكّن من تختيار طريق دون آخر من الطرق المحتملة»¹. فعند استنباط النتائج ينبغي الملاحظة الدقيقة وخاصةً ملاحظة الظروف الحاضرة، لنكشف عن الروابط عنها.

تمثل المناهج جانبًا أساسيًا من جوانب أيّ نشاط تعليمي، فمن خلالها يتحقق كلّ ما نسعى إليه، ولذلك المناهج التربوية لها أسس: « تحتوي على المعرفة التي تم التأكد من حقيقتها عن طريق التجربة، تشجع المناهج التربوية المتعلمين على تقبل القوانين الطبيعية والتعميمات العلمية، وتركّز المناهج على المشاركة العملية للطلبة والمختبرات أو المكتبات بشكل أوسع»² فالوصول إلى الهدف قد لا يكون سهلاً في كلّ الأحوال، بل نحتاج إلى أسس أو مناهج ينبغي مراعاتها.

فالمدرسة تمثل مخبر للأفكار التربوية القادرة على إنتاج إنسان ديمقراطي أصيل مؤسسة اجتماعية و نموذج للتجربة الحياتية للطفل. فبالنسبة لديوي يجب أن تكون المدرسة مجتمعًا تنعكس فيه صورة الديمقراطية و يكون ذلك بربط أفكار الطفل التي يتلقاها بالمدرسة مع تجاربه الماضية و في هذا يقول « الخبرة التربوية السليمة هي التي تكتسب عن طريق الديمقراطية أي تقوم على المشاركة الحرة الفعالة للفرد داخل المدرسة والمجتمع و عن هذا الطريق الديمقراطي تنتج خبرة راقية»³. ممّا يجعلها شرطاً ضرورياً بنجاح كلّ مشروع سياسي و اجتماعي، و تنشر بين أفراد المجتمع مبادئ الديمقراطية و العدل و المساواة، ولذلك رفض ديوي كلّ الفلسفات التربوية القديمة، بحيث كانت نظريته العامة للتربية تتميز بالتغيّر و التجدد والاستمرارية.

من خلال ما تطرقنا إليه نستنتج أنّ الهدف التربوي عند جون ديوي هو سعي التربية إلى معاونة الناس على بلوغ التفوق على تحقيق لكلّ فرد على امتلاك لنفسه و إثراء نشاطه الاجتماعي و نشر المعرفة و الفنون بين الناس لتنمية مواهبهم « فالتربية التي يتصوّرها هي تحرير قدرة الفرد على طريق تطويرها على نحو مطرد اتّجاه الأهداف

¹ ول ديورانت ، مرجع سابق، ص 101 .

² توفيق أحمد مرعي، محمد محمود، المناهج التربوية الحديثة: مفاهيمها و عناصرها و أسسها و عملياتها، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط 1، 2000، ص 118.

³ أحمد فؤاد الأهواني، مرجع سابق، ص 54 .

الاجتماعية¹» وبهذا تعتبر التربية أداة لنقل أهداف المجتمع ومعارفه من جيل إلى جيل، فهي التجدد المستمر بعينه، وهي عملية نمو لا هدف لها إلا المزيد من النمو، لأنّ التربية تشكّل جوهر الاهتمامات الإنسانية الجمعاء، وهي ذلك العمل المتناسق الذي يهدف إلى نقله لمعرفة و إلى تنمية القدرات و تحسين الأداء الإنساني في كافة المجالات .

¹ تشارلس موريس، مرجع سابق، ص 199 .

المبحث الثاني: الفلسفة والتربية بين المفهوم والعلاقة

المطلب الأول: ديوي وإعادة بناء الفلسفة

للتحدث عن ماهية الفلسفة عند "جون ديوي" يجب التعرض للمذهب البراغماتي وبصورة موجزة ومن خلاله نبرز سمات الفلسفة الديوية والتي تهمنا، فإذا كانت الفلسفة البراغماتية تعتبر من معالم الفلسفة المعاصرة عرفت النشأة والتطور والتطبيق في مختلف مجالات الحياة الأمريكية.

1- فلسفة ديوي البراغماتية وأهم سماتها:

يعود المذهب البرغماتي إلى ثلاثة من الفلاسفة الأمريكيين وهم "تشارلز بيرس" و "جون ديوي" و "وليام جيمس". وظهر في كنف الثورة الصناعية والتقدم العلمي غير أن مدلوله اللغوي يشير إلى الكلمة وتعني العمل، النشاط والفعل، أما مدلوله الاصطلاحي، (PRAGMATIC) اليونانية الأصل فيشير إلى أن مؤسسها بيرس أخذه من الفيلسوف الألماني كانط ما هو براغماتي وما هو عملي، وعرض هذا في كتابه ميتافيزيقا الأخلاق لما جعل ما ينطبق على القوانين الأخلاقية عمليا وما ينطبق على قواعد الفن براغماتيا واستعمل ذلك لكشف المستقبل بمقتضيات الحاضر ولهذا فهي صفة للتاريخ؛ أراد "بيرس" من استعماله للفظ الكانطي، تعديل الوجود باستخدام المفاهيم والآراء لتغيير المواقف التي تواجهنا في خبرتنا كما يعترف "ديوي" بـ"فضل" جيمس "في تأسيس الفلسفة الوسيلية، ويرى أنها وثيقة الصلة بعلم النفس السلوكي لواطسون وقام بتفسير نظرية" جيمس " الوسيلية واتخذ من الفكرة أداة يكيف الإنسان بها نفسه ليلائم بيئته، وأصبح الفكر حسبه ذريعة لخدمة الحياة وطالب بتطبيق المنهج العلمي في مختلف مجالات التفكير حتى يتم الانتقال من نطاق الفكر إلى نطاق العمل.

¹تشارلز بيرس 1839-1919 فيلسوف أمريكي كان والده عالم فلك شهير، مما جعله يعمل في مجال مراقبة الأفلاك دون إهماله للفلسفة التي كان يدرسها في جامعة هارفارد، والمنطق الذي كان يدرسه في جامعة جون هوبكنز، وتميزت فلسفته باهتمامه بكيفية التحقق من مدلولات الأفكار التي نستعملها ومن أبرز مؤلفاته: "كيف نجعل أفكارنا واضحة، دراسات في المنطق، نشأة الذرائعية".
-الرئيس شارل الحلو، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ج 1، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1992، ص 298.

²وليام جيمس 1842-1909 السيكولوجيا "إلى علم على أساس المنهج التجريبي مما جعله يساهم في بروز "المنهج الأداتي" في علم النفس والذي كان العنوان البارز في فلسفة ديوي، وتعتبر ظاهرة الانفعال أشهر القضايا النفسية التي نظر إليها بنظرة علمية وهي القضية التي عرفت بنظرية "جيمس-لانغ"، من أهم مؤلفاته: "إرادة الاعتقاد، صنوف الخبرة الدينية".
-خلف الجراد، معجم الفلاسفة المختصر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2007، ص 72.

وباختصار، فإن البراغماتية مذهب قصد منه "بيرس" جعل العمل المنتج معيارا للحقيقة لا الأفكار النظرية المجردة والتأملية، وأكمل "جيمس" ما بدأه "بيرس" - "حسب ما أكده ديوي- وغير نظريته بجعل النتائج الخاصة هي معيار الصدق بدلا من النتائج العامة وأصبح المذهب البراغماتي يرفض حصر وظيفة الفلسفة في البحث المجرد فلا يتم قبول الأفكار المجردة الا إذا كانت قابلة لبلوغ منفعة، وعلى هذا الأساس يعتبر "جيمس" أن المعتقد الديني يظل صادقا طالما ترتبت عليه آثارا عملية في حياتنا اليومية، فالبراغماتية بهذا ليست نظرية أمريكية خالصة كما يشاع عند الكثير، فهي يونانية الأصل عرفها "بيرس" من دراسته لكانط.

لقد حاول "جون ديوي" نزع الغموض الذي أحاط بكلمة البراغماتية واصطنع الوسيلة كاتجاه براغماتي خاص به وصارت البراغماتية عنده تستخدم النتائج (Instrumentalism) على أنها اختبارات لازمة للوقوف على صدق القضايا لتكون عمليات قابلة للتطبيق والإجراء باعتبارها أدوات تؤدي إلى حل المشكلات التي تقتضي تلك الإجراءات، وبهذا تحددت معالم البراغماتية مع بروز العقلية الأمريكية والتي مثلتها أصدق تمثيل، ذلك أن اللذين هاجروا من البلدان المختلفة وبدافع متعددة إلى هذا العالم الجديد المكتشف حديثا وظهرت حاجتهم إلى الاجتماع السياسي في الوطن الجديد وتعاونوا جميعهم على تحقيق ذلك الأمل، حتى انعكس المزيج بين الأمل واختلاف الجنسيات على النمط الفكري والفلسفي للمجتمع الذي بدأ ينشأ، ومعه تبلورت الفلسفة البراغماتية التي كانت أكثر ملاءمة لطبيعة هذا المجتمع الجديد. فالخبرة الحسية عند البراغماتيين تتجاوز ما تقدمه الحواس من الواقع إذ تشمل الآثار الحسية والأفعال السلوكية. فهي كما يصورها لنا "ديوي" تتعدى الانطباعات الحسية المتفرقة إلى العلاقات الاجتماعية فهي تنشأ من الخبرة أو التجربة¹، مما يعني أن البراغماتية قدمت معنى جديدا للتجربة فأخرجتها من دائرة المخبر إلى نطاق الفكر الذي يكون في خدمة الإنسان فهي تمثل الترابط بين ما أنتجته العلوم وما يحقق للفرد من خدمة عملية، من هذا المنطلق سعى البراغماتيون إلى بناء منهج يتجاوز المثالية المجردة ولا يقف على ما تقدمه الحواس بل يتجه بالفكر إلى العمل تلبية لمقتضيات الحياة المتغيرة وتحقيقا لاستمراريتها.

لا شك في أن تأثير "ديوي" و"بيرس" وبجيمس خاصة كان واضحا سواء تعلق الأمر بعلم النفس أو الأخلاق حيث جمع بين الأصول البراغماتية التي وضعها "بيرس" في توجيه الفكر إلى العمل من جهة وما أخذه من "وليام جيمس" في جعل الفكرة أداة من أجل كل عمل نافع من جهة أخرى، فأسس فلسفته البراغماتية القائمة بذاتها والتي تهدف إلى:

¹يجي هويدي، مرجع سابق، ص 135.

- أن تصبح الفلسفة أداة فعالة تفسر الأحداث وتساعد الناس على حل المشكلات للتكيف.

- أن تكون للفلسفة آثارا عملية اجتماعية تحقق تطلعات المجتمع التي يتطلبها الواقع المتغير، ومن غير ذلك فلا قيمة للفلسفة مهما كانت صحتها العقلية من هذه الأهداف التي رسمها "ديوي" لفلسفته¹، يمكن إبراز مفهوم الفلسفة عنده وكذا منهجه فيها، فهو يعرف الفلسفة على أنها رؤية تهدف إلى تحرير العقول من الأهواء وتخفيف حدة التوتر في الحياة الاجتماعية السائدة ويجعل من البيئة مصدرا لأداتيا لغرس المعايير الأخلاقية في النفوس البشرية ويحصر مهمتها في قوله: "إن الوظيفة المميزة للفلسفة، وأن مشكلات الفلسفة ومادتها، إنما تنشأ عما يحدث من ضروب التوتر في الحياة الاجتماعية التي منها ينشأ لون بعينه من ألوان الفلسفة"، ويعتقد أن الفلسفة كان لها دور كبير في ظهور الحركة العلمية كعلم الفلك والفيزياء والتاريخ يثبت أن المناقشات الفلسفية التي اكتسحت مجالات الحياة قد أنجزت عملا كبيرا إذ لولاها لما وصل العلم إلى ما هو عليه اليوم.

لقد دعا "جون ديوي" إلى تجديد الفلسفة من خلال معالجة قضايا الحياة الإنسانية المتغيرة بالبحث على أسبابها وحقائقها، وفي هذا يقول: "فمن العمليات التي يجب أن تضطلع بها الفلسفة المحددة عملية مؤداها أن نجتمع ونعرض الأسباب التي تعلق زوال ما قد كان قائما من فصل بين ما هو نظري وما هو عملي²"، وهنا يستند لما قدمه "جيمس" في تصوره لوظيفة الفلسفة والتي رآها لا تخرج عن العمل على تحرير عقول الناس من التحزب والهوى وتعمل على توسيع مدارك الناس للعالم الذي يحيط بهم، وبهذا يظهر طموح "ديوي" في إزالة الثنائية التي تميزت بها الفلسفة التقليدية، وعمل على بيان وجهات النظر المختلفة الذي ميزت تاريخ الفلسفة وعبرت عنها المذاهب الفلسفية المختلفة والتي اختلفت فيما بينها حول طبيعة الحقيقة في حين يرى "ديوي" أن الاختلاف كان له أن يكون حول الهدف الاجتماعي الذي يتم السعي لبلوغه ولو كان ذلك الاهتمام ليس منعزلا على الإنسان في طبيعته وطبائع حياته وتاريخ مؤسساته الاجتماعية لظفرت الفلسفة بما ظفر به العلم اليوم، وبالتالي ستكون مهمة الفلسفة إذا ارتبطت بالقضايا الاجتماعية هي العمل على توضيح أفكار الناس وتبصيرهم بشأن ما يدور فعلا في عصرهم وتسعى لمعالجة ذلك التعارض في الواقع يظهر مما سبق، أن الفلسفة في تصور "ديوي" تهدف إلى تغيير الوقائع تغييرا فكريا وعمليا بما يناسب التقدم العلمي والصناعي الذي تشهده الحياة، ولعل هذا الذي جعله يعترف بفضل المنهج التجريبي عليه في بناء فلسفته الوسيالية، فكان بذلك فيلسوفا براغماتيا لامعا نظرا لما تضمنته نظريته من أفكار ساهمت في تطور البراغماتية وامتدادها، إن ما قدمه "ديوي" يبين أن براغماتيته تتضمن توجهات

¹ عبد الراضي إبراهيم محمد عبد الرحمان، دراسات في فلسفة التربية المعاصرة، دار الفكر العربي، القاهرة، 2002، ص 105.

² جون ديوي، تجديد في الفلسفة، ترجمة أمين مرسى قنديل، مراجعة زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، 1947 م، ص 55.

حتى وإن تباينت في بعض المواقف عما قدمه أعلامها الآخرون إلا أنها تتماهى جميعها في خدمة المذهب البراغماتي، ومن هنا يمكن الوقوف على سمات براغماتية" جون ديوي "من خلال توضيح رؤيته لمجالات الفلسفة.

2- موقف ديوي من مجالات الفلسفة:

إذا كان "بيرس" منطقيًا في توجهه البراغماتي بجعله وظيفة الفلسفة تتمثل في وضع معاني للعالم تتناسب مع ميولات الأفراد واستجاباتهم لبيئتهم و"جيمس" مربيًا وإنسانيًا في دفعه الناس التحقق من أ ن للمشكلات الفلسفية أهمية في حياتهم وتؤدي إلى ألوان متنوعة من السلوك، حيث دعا إلى تعليم الفلسفة حتى يتوفر التفكير السليم في حاجات المجتمع بما يحقق المنفعة لأفراده. فإ ن نظرة" ديوي "الفلسفية تأخذ موقفًا متميزًا من نظرة كل منهما باعتباره مجددًا في الفلسفة. ويتمثل موقفه من مجالات الفلسفة في ما يلي:

- يدعو "ديوي" إلى ضرورة ان تغير الفلسفة من طبيعتها وتتخذ طبيعة عملية وتصبح فعالة وتجريبية، وتتجاوز فكري المثالي والواقعي، فليست الأولى عالمًا منفصلاً قائمًا بذاته، وليست الثانية شيئًا عتيدًا جاهزًا نهائيًا2).

- يعتبر ديوي فلسفة" بيرس "تستلزم في أساسها علاقة معينة بالعمل والسلوك الإنساني غير أن دور العمل متوسط، فلكي يكون الإنسان قادر على أن ينسب معان لتصورات معينة عليه أن يكون له القدرة على تطبيقها عن طريق العمل وما ينتج عن هذا التطبيق من نتائج هو الكفيل بتكوين المعاني الصحيحة للتصورات.

-رغم تأثر" ديوي "بأفكار" جيمس "وخصوصًا في فلسفته الوسيالية إلا أنه يعيب عليه حصر البراغماتية في التصورات التي تبين الحقائق في المستقبل. ويظهر هنا اللون الجديد للفلسفة البراغماتية المسماة" الآداتية "حيث جعل من الفلسفة أداة لإصلاح المجتمع إصلاحًا واعيًا في كل مجالات الحياة، والإصلاح الذي يشير إليه يكشف عن القيمة الوظيفية والعملية للفلسفة من جهة والقيمة البنائية للخبرة من جهة أخرى، م ما جعل براغماتيته تتسم بالنزعة التجريبية التي تتخذ من الخبرة العامة نقطة انطلاقها بحيث يتم الاعتماد عليها في مجابهة شتى مشكلات الحياة.

- ركز" ديوي "على المجال التطبيقي للفلسفة وحدده في التربية، ورأى أن التفلسف يجب أن يدور حولها لأنها أقصى اهتمام إنساني يرتبط بالمشكلات الكونية والأخلاقية والمنطقية

- هذا الذي يدل على تميز البراغماتية بالتعدد فليس هناك براغماتية واحدة، فبراغماتية "بيرس" تختلف عن براغماتية "جيمس" وبراغماتية "ديوي" تتميز بطابعها الأداقي وهناك براغماتيات كثيرة، إلا أن هناك طابع عام يجمعها وهو الإطار البراغماتي العملي.

من ذلك الوقف يتضح أن الخصائص التي تميزت بها الفلسفة البراغماتية بالإضافة إلى العوامل التي أدت إلى ظهورها، توحي كلها بأن الفلسفة البراغماتية بما تحمله من تعدد وتنوع في القضايا التي تطرحها وبهذا تكون البراغماتية قد أنزلت الفلسفة من برجها العالي إلى العالم الواقعي المتغير وأرادت أن تجعلها طريقة عمل في الحياة، ولهذا فهي تحتكم إلى التجربة والنتيجة العملية في معالجة القضايا الفلسفية¹، وكانت بهذا فلسفة "ديوي" دعوة إلى التفاعل المستمر الذي يجري واقعا بين ذهن الإنسان وما يحيط به بصورة حركية فديوي يبدي تجريبية لا تجربة آلية، بل تجربة تتميز بالاستمرار والاتصال شعورا بتجانس الحياة وكلما أشار إلى استمرارية الخبرة وتواصل الحياة وتجددها ينبعث ذلك الشعور ويتجلى، هذا الذي جعله يرفض ما ذهبت إليه الفلسفات القائمة على ثنائية الروح والمادة، والفكر والعمل، وجعل من الفكر جزء من التجربة يتأمل فيما يحيط به ويشترك في مجرى الحياة.

إن الرؤية الفلسفية لـ "جون ديوي" تقوم على الربط بين الوعي والطبيعة وهذا ما يدل على قيام مذهبه على دعامة الفكر والخبرة في ترابط وانسجام، وهذه الأخيرة تتميز بالحركية والنمو والتطور فهي محصلة التفاعل بين الكائن وبيئته، فالفلسفة عنده ليست طريقا خاصا ينتهي إلى أشياء غريبة عن الفكر أو المحيط في المعارف والأخلاق والعقائد، بل هي نقد فاحص لكل الأفكار التقليدية لتجديدها وجعلها متماشية مع المقتضيات الراهنة فالسعادة الإنسانية تتحقق بقدره العقل على تغيير أفكار المجتمع بما يتماشى والتقدم العلمي، حيث يبدو العقل في نظر "ديوي" ليس أداة للمعرفة وإنما وسيلة للحياة²، كما تبدو قيمة الفرد كبيرة في الفلسفة البراغماتية إذ تضع في الاعتبار الأول لأنه يحمل الفكر المبدع ويضع العمل ويصاحب تطبيقه، فهو بعقله مهم في كل تغير وتطور ذلك أن عقله "حسب ديوي" جزء من الطبيعة يحاول دائما التكيف معها، وهو بذلك قابل للتربية قبول الطبيعة للتغير والتحول. إذن فالحياة الصالحة والمعرفة السليمة والتفكير الصحيح ومكانة الإنسان في الكون إنما تقع جميعها ضمن المجالات الفلسفية التي أهتم بها "جون ديوي".

¹ محروس سيد مرسي، التربية والطبيعة الإنسانية في الفكر الإسلامي وبعض الفلسفات الغربية، دار المعارف القاهرة، 1988 م، ص 106.

² شبل بدران وأحمد الفاروق محفوظ، أسس التربية، دار المعرفة الجامعية، 2000، ص 19.

3- تطور مفهوم التربية عبر التاريخ:

3-1 التربية في العصر اليوناني:

إن الحديث عن التربية عند الإغريق ارتبط كثيرا بأفلاطون وكانت محورا لكتابه الجمهورية وتتميز التربية عنده بغايتها المثالية وتبدأ بتهيئة الفرد لأن يصبح عضوا صالحا في المجتمع لتحقيق الغاية الكبرى وهي سعادة القسوى والتي لا تتم إلا بالتعاون مادام الإنسان اجتماعي بطبعه مما يستوجب منه التعاون مع غيره لإشباع حاجاته، والتربية تقوم على إعداد الجسم وال روح معا لبلوغ الجمال والكمال، ولهذا الأساس ركز " أفلاطون " على تنمية الذوق الجمالي لدى الطفل عن طريق التربية الموسيقية، وتقوية الجانب البدني بالتركيز على التربية البدنية وحتى تكون التربية سليمة مثلما يرى أفلاطون لابد للشخصية الإنسانية أن تحافظ على مبادئ كل نفس من الأنفس الثلاثة فالنفس العاقلة ينبغي أن تكون لها الغلبة تستعين بالقوى الغضبية من أجل إخضاع القوى الشهوانية وقهر رغباتها¹، وعليه فالتربية الأفلاطونية هي من روح فلسفته المثالية وأما أرسطو فلا يختلف كثيرا على أستاذه إذ يرى أن الغرض من التربية هو حمل الفرد على تعلم كل ما هو مفيد وضروري في الحياة لتحقيق السعادة لذلك دعا إلى إعداد العقل لاكتساب العلم والمعرفة.

3-2 التربية في العصر الوسيط:

إن التربية في العصور الوسطى لا تخرج عن الطابع الإيماني لدى المسيحيين والمسلمين. ففي الفكر المسيحي برزت المدارس الدينية التي تهدف إلى إصلاح المجتمع من الفساد الوثني من خلال تعليم الناس للتعاليم الدينية القائمة على رفض الأرستقراطية والتركيز على التربية الأخلاقية للوصول إلى الحياة المثالية الراقية² ويشيد جميع المؤرخين أنه خلال القرون الثلاثة الأولى من تاريخ المسيحية كانت الحياة بريئة لا يفسدها الطمع، ولا يشوبها الدنس وقد كانت هذه المثالية الراقية للحياة الخلقية مفروضة على كل عضو من أعضاء الكنيسة². وقد عكفت في البداية المدارس الديرية (الرهبانية) على تحقيق ذلك حيث كان لآباء الكنيسة الدور الأكبر في بروز الفكر المدرسي في القرون الوسطى ونمت تدريجيا وبلغت أوجها وأمتد تأثيرها إلى القرن السابع عشر حتى أصبحت تدرس في الجامعات الكبرى في إنجلترا وإيطاليا وفرنسا. أما المدارس البلاطية فضمت اللاهوتيين والعلمانيين على حد

¹ أفلاطون، جمهورية أفلاطون، دراسة وترجمة فؤاد زكرياء، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004، ص 123.

² محروس سيد مرسي، مرجع سابق، ص 36.

السواء وأشهرها مدرسة شارلمان والتي تدرس الفنون العقلية إلى العلوم الفكرية والاعتماد على التدريب الفكري في منتصف القرون الوسطى وأواخرها مما يدل على التغير في الهدف التربوي من الهدف الروحي إلى الهدف العقلاني.

وفي الفكر الإسلامي نجد التربية مستلهمة من قواعد الدين الإسلامي وركائزه وغاياته، وكان التصور التربوي الذي يقدمه الإسلام عن التربية يتماشى وتصوره للطبيعة الإنسانية، وأما ركائز هذا التصور فهي:

-يرتكز الفكر التربوي الإسلامي على التكامل بين الجسم والروح وبين الدنيا والآخرة لقوله تعالى: "وأبغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين"¹ كما تركز التربية في الإسلام، على الخبرة لأن حياة المسلم كلها خبرات مستمرة تهدف إلى صلاح المسلم وسعادته.

-تتميز الأهداف التربوية في الإسلام بالتكامل والمرونة وقابلية التحقيق وتنوع بين اجتماعية وروحية وجسمية ودينية وخلقية وغيرها فه تعني بجميع جوانب الطبيعة البشرية.

-أما من حيث المنهج في التربية الإسلامية فإن أسسه متعددة بين النفسية والفلسفية بحيث تؤكد الفلسفة الإسلامية على التكامل بين الجوانب الطبيعية في الإنسان، والتفاعل بينها وبين الظروف يقتضي تفعيل التفكير والعمل لحدوث التغير الهادف والبناء، هذه الأمور يجب مراعاتها في بناء كل منهج تربوي، بالإضافة إلى مراعاة الجانب النفسي والمتمثل في الاهتمام بالميلولات والقدرات التي يتمتع به الأطفال والتاريخ الإسلامي يقدم نماذجاً عن المفكرين المسلمين الذين أولوا اهتماماً خاصاً بالتربية ونذكر ابن خلدون فقد توخى خطوات الغزالي في التأكيد على أهمية تعليم العلوم الشرعية التي تنمي الجانب الروحي في الإنسان وتساعد على أموره الأخروية، إلا أنه يضع لكل علم حدوده ولا يلغي دور العقل في تحصيل بعض العلوم حيث اعتبر هناك العلوم والصنائع باعتبارها الغاية التي يجري وراءها البشر في الحياة والتي ينبغي تعلمها² كما يتحدث عن تعليم العلوم بأنها من جملة الصنائع أي أن التعليم فن من الفنون وفي هذا يقول: "وذلك أن الحذق في العلم والتفنن فيه والإستلاء عليه، إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله، وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن حاصلًا"³.

¹ القرآن الكريم، سورة القصص، الآية 77 .

² عبد الأمير ز. شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق، الشركة العالمية للكتاب، الإسكندرية، 1991، ص 68 .

³ عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، الفصل السادس من الكتاب الأول، تحقيق حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، ص 519 .

ويظهر هنا أن ابن خلدون قد سبق رجال التربية المحدثين في تأكيده على قدرات المتعلمين واهتماماتهم وكذا تأكيده على الممارسة الفعلية كطريقة من طرق التعلم دون التركيز على الجانب النظري وهذا هو جوهر التربية التقدمية عند "جون ديوي".

3-3 التربية في العصر الحديث:

إن الحديث عن التربية في هذا العصر يقودنا إلى الحديث عن أهم النظريات التربوية التي ظهرت فيه وكان لها الأثر الكبير على كل الفلسفات التربوية اللاحقة، ويحتل "جان جاك روسو" مركز الريادة في الاهتمام بالتربية والتي اتخذها منهجا وطريقة لتحقيق فلسفته الطبيعية ويقدم الوسيلة المثلى لتحقيق التربية الطبيعية هي النمو الحر الطليق لطبيعة الطفل وميولاته عن طريق الخبرة، فالتربية التي يدعو إليها تهدف إلى الإصلاح الاجتماعي، هذا الذي جعل نظرياته التربوية تؤثر بشكل واضح في كل فلسفات التربية اللاحقة.

أما التربية عند "جون لوك" فجاءت متماشية والطابع التجريبي الانجليزي، فهي تقوم على تدريب القوى الموجودة لدى الفرد وتساعد على أدائه لأعماله وتمثل القوى في الحفظ والإدراك والتذكر بالإضافة إلى القوى الجسمية المتنوعة، والطريقة التي تتم بها العملية تأخذ اسم التربويض الشكلي وتتركز على التمارين والتكرار للعمليات المراد تعليمها وكذا نظرية "هيغل" والتي ترى أن هدف التربية هو تحقيق الكمال المطلق، فركزت على النمو الكامل للفرد، وأكدت على الالتزام بالنظام المدرسي .

وخلاصة كل ما أطلع عليه من جهود المربين وما حوته نظرياتهم ووقفته المتميزة منها ليقدم لنا تصورا جديدا يتماشى والتطور العلمي، هذا التصور الجديد في المفاهيم والطرق يثري الميدان التربوي ثراء فكريا ومعرفيا ومنهجيا ويبرز التنوع بين التربية التقليدية والتقدمية، والتي من خلالها رفض "جون ديوي" التربية التسلطية القديمة التي تجعل الأطفال متلقين للمعارف فحسب، ولقد حاول الكثير من المصلحين التربويين من أمثال "روسو" و"باستالوتري" و"فروبل" وصولا إلى "جون ديوي"، أن يبرزوا أهم التناقضات التي وقعت فيها التربية القديمة، إذ أراد "ديوي" أن يقدم مفهوما جديدا لها يتناسب مع الطبيعة البشرية وكذا الطابع المتغير للواقع الاجتماعي، فما هو هذا المفهوم يا ترى؟ يعتقد "ديوي" أن التربية تتسم بالطابع الاجتماعي فهي نتاج التفاعل بين الغرائز والميولات الفردية

- والظروف الاجتماعية الراهنة¹، وتبدأ بالمشاركة الفعالة للفرد في الشعور الاجتماعي مما يجعل منها عملية حياة وتجديد اجتماعي، ويمكننا أن نبرز الخصائص التي تضمنها مفهومه للتربية التقدمية فيما يلي:
- إن التربية التقدمية أو الجديدة عملية اجتماعية تنشأ بإشراك الفرد في الوعي الاجتماعي.
 - إنّها عملية حياة تخالف الرأي التقليدي في كونها عملية تهدف إلى إعداد الطفل للمستقبل.
 - إنّها التغير الحاصل في الفرد نتيجة الخبرة، حيث تضمن استمراريتها من خلال نقلها من جيل إلى جيل ولا تفرض أساليبها على الأطفال بل تعمل على تنمية قدراتهم الكامنة.
 - إن هدفها هو استمرار النمو والمزيد منه في كل مرحلة لأن التربية التي لا تراعي ذلك لا يمكنها أن تنشئ مجتمعا جديدا.
 - تعتبر التربية الجديدة المعارف التعليمية ليست غايات وإّما هي وسائل للنمو ودالة عليه.
 - عن طريقها يتم اكتساب المفاهيم الحقيقية بتنمية الذكاء وبالتالي تنمية الشخصية بمستوياتها الإدراكية والوجدانية والحركية.
 - تراعي التربية التقدمية القيم في تنمية الوجدان وتركز على المهارات العملية المختلفة. وبناء على تلك الخصائص يتضح مفهوم التربية التقدمية التي يتحدث عنها "جون ديوي" فهي تمثل العملية التي يتم بها إحداث التغير في الحياة وعن طريقها يتحقق ما ينتجه التفكير الفلسفي، فهي بحق محك اختبار الأفكار الفلسفية.

المطلب الثاني: تجديد رؤية ديوي التربوية

ليس من شك أن أهم ما تميزت به براغماتية" ديوي "جانبا التربوي الذي يمثل إضافة نوعية وتوسيعا للمذهب البراغماتي. غير أن آراؤه التربوية الجديدة لم تكن وليدة الصدفة وإنما هي نتاج تفحصه العميق لأحوال المجتمع وتغيراته، وانعكاس لتصوراته الفلسفية وتأثيراته بمختلف النظريات التربوية والفلسفية التي اطلع عليها والمدارس التي انتمى إليها عبر حياته الفكرية المتنوعة، مما أوحى بأنه كان مفكرا تحدوه الرغبة إلى التجديد في كل مناحي الحياة ومجالات الفكر والمعرفة، فكان ينظر إلى النظريات التربوية السابقة عليه نظرة الناقد أحيانا والمقدر

¹ جون ديوي، التربية في العصر الحديث، ج 1، ترجمة عبد العزيز عبد المجيد ومحمد حسين المقرجي، مراجعة محمد بدران، مكتبة النهضة المصرية، 1949م، ص 56.

أحيانا أخرى فيأخذ بمآثرها ويبدل مساوئها ليصل إلى ما يلائم الإنسان والمجتمع، ومن هنا كان لزاما علينا أن نقف على أهم المناهل التي نهل منها وعلى أهم الأسس الفلسفية والمنطقية التي ساعدته على بلوغ ذلك التجديد التربوي، فلكل فلسفة تربوية طريقة أو منهج يحققها وقواعد فكرية تمثل مضمونها ولا يختلف اثنان في أن "ديوي" هو فيلسوف الخبرة هاته الأخيرة تقترن عنده بمنهجه الأداتي الذي يمثل الأساس المنطقي لفلسفته التربوية وتمثل الخبرة قاعدتها الفلسفية، ولهذا يظهر دور كل منهما فيما يلي:

1 - الخبرة أساس فلسفة التربية عند "جون ديوي":

إن السؤال البديهي الذي يطرح وهو أي خبرة يتم الوثوق فيها واعتمادها كأساس لكل تربية وتعليم، طالما أن حياة الإنسان كلها خبرات متعددة تتصل مباشرة بمواقفه الحياتية وسلوكياته واتجاهاته من حيث التأثير والتأثر؟ ليس من شك في أن ثورة "جون ديوي" على الفلسفة المثالية الكلاسيكية إنما هي ثورة على الذين لا يهتمون بالواقع الخبري ويحتكمون للأفكار المجردة، وفي مقابل ذلك قدم تصورا جديدا للفلسفة بصورة عامة والتربية بصورة خاصة ذلك التصور يتمثل في الخبرة لقد أشرنا فيما سبق بأن فلسفة "ديوي" البراغماتية تهدف إلى تطبيق المنهج التجريبي وتوسيعه، نظرا لفعاليتها في الميادين العلمية المختلفة، إلا أن ميله للمنهج التجريبي مرده إلى تأثره بالفلسفة التجريبية لـ "بيكون" و "لوك" و "هوبز" هذا الأخير قد لمحة إلى دور الخبرة في هداية الناس في سلوكياتهم هداية عملية متواضعة.¹

فالخبرة التي تجمع بين التجربة والمعرفة هي أيضا ذلك الموقف الذي يتعرض له الفرد فينفعل معه ويؤثر فيه ويتأثر به²، ويحدث التعلم نتيجة ذلك فيكتسب الفرد معارف تساعد في الحياة. ومن أجل ذلك اعتبر "جون ديوي" الخبرة أساس التربية الجديدة وأولى اهتماما خاصا بها فأمن بأن التربية الصحيحة إنما تتحقق بها، ولا شك من أن الخبرة التي يقصدها "جون ديوي" هي الخبرة النافعة التي تُحقق تفاعلا بين الفرد وبيئته ويستثني بذلك الخبرات التي لا تتضمن تفاعلا ولا تُحدث التغيرات المرغوب فيها في سلوك الفرد³، وبهذا كانت التربية للخبرة عن طريقها وفي سبيلها، وفهم طبيعتها يقتضي ملاحظة ما تتضمنه من عنصرين هامين وهما فأما الناحية الفاعلة فيعني بها "ديوي" المحاولة (Passive) والمنفعلة (Active) الفاعل أو التجربة في حين يشير الانفعال إلى المعاناة، بحيث

¹ فريدة غبوة، اتجاهات و شخصيات الفلسفة المعاصرة، دار الهدى، عين مليلة، ص 112.

² كوثر عبد الرحيم شهاب الشريف، المنهج البراغماتي والتطبيق التربوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص 22.

³ جون ديوي، الخبرة والتربية، ترجمة محمد بسيوني ويوسف الخ مادي، دار المعارف بمصر، 1954، ص 20.

إذا أثرنا في شيء فإنه يعاودنا ويحدث فينا أثرا مقابلا ، فتظهر طبيعتها متغيرة تغيرا منتجا لا عقيما لأنها ترتبط بالوعي لما ينتج عنها، وبهذا لا يمكن الفصل بين العمل الفاعل والمعاناة المنفعلة في الخبرة.

ويلح "جون ديوي" كثيرا على ضرورة توطيد العلاقات بين ما يقوم به الفرد في البيئة وبين ما تفعله هي كاستجابة له حتى يتعلم فهم نفسه وفهم عالمه وهذا ما جعله يدعو إلى أن تُعد التربية المقصودة نوعا من البيئة لضمائها الخبرة المتمثلة في ما تم اكتسابه من معاني وأعمال وأشياء والتي تصبح هي بدورها ذريعة لزيادة التعلم . فتجدد المعارف لدى الإنسان يتوقف على الخبرة التي بها يتغير وجوده المادي ومعها تتجدد معتقداته وتحقق آماله وسعادته وهذا التغير وذلك التجدد هو الذي يضمن دوام الخبرة واستمراريتها.

ولما كانت التربية هي أداة لاستمرار الحياة والحياة مرتبطة بالخبرة فإن "جون ديوي" نظر إلى التربية على أنها هي التكوين الجديد للخبرة أو كما يقول: "هي عملية نمو داخل الخبرة وبالخبرة وللخبرة¹ " ، ويستبعد بذلك الخبرات التي تُفرضي إلى النقص في التكيف . وهو يميز بين الخبرات التي تصدر من الحياة اليومية المعاشة والخبرات الناتجة عن التطور العلمي الحاصل، فالأولى تقوم على تقبل المعتقدات والأفكار دون تفحص ولا تدبر، أما الثانية فهي التي تجعل الفرد أكثر تكيفا لأنها تقوم على الفهم الصحيح لإدراك العلاقات بين الأشياء وما يرتبط بالقوانين التي تحكم الظواهر في الطبيعة والحياة الاجتماعية، ومع هذا تتضح الشروط التي يضعها "ديوي" لاختيار الخبرة التي تكون أساسا لكل تربية صالحة وتمثل أيضا طبيعتها والتي تسمح بالحصول على خبرات أخرى مفيدة في المستقبل.

الخبرة الصالحة هي التي تساهم في تنمية الذكاء وتحصيل الفهم والإدراك ولا يكون ذلك دون ولوج المنهج العلمي إلى الحياة، ونظرا لما للعلم التجريبي من دور في الخبرة الحياتية فإن "ديوي" أكد على ضرورة اصطناع الأعمال التطبيقية العلمية في التربية المدرسية لربطها بالواقع الذي يتصل بالخبرة الإنسانية، الأمر الذي جعله يحدد "وجه الحاجة إلى فلسفة الخبرة أو نظرية لها تمكن من وضع الخطط والمشروعات التربوية ولا تترك عرضة للصدفة".

2

لاشك من أن إيمان "جون ديوي" بدور الخبرة في الحياة يعبر عن طموحه لبناء التربية التقدمية التي تتماشى وما قدمه العلم الحديث، ولهذا كان يحدد الخبرات التي تنطوي على قيم تربوية فالذي يؤدي إلى السرقة ويحجب الذكاء و يعلم الاستسلام ليس بخبرة تربوية، لأن هذه التربية المقصودة التي يتحدث عنها "ديوي" هي التربية

¹ جون ديوي، مرجع سابق ، ص(24 .

² محمد جديدي، فلسفة الخبرة :جون ديوي نموذجًا، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2004، ص238 .

المدرسية التي تأتي بعد التربية غير المقصودة وهي الاجتماعية، وهي نتاجها ومتضمنة فيها ولا يمكن تصورهما بعيدة عنها، وقد ساهمت فكرته هذه في بروز ما يعرف بالمدرسة المجتمع.

الأخيرة تؤدي إلى صلاح الفرد والمجتمع وتسعى إلى استمرار النمو، والانحراف عن هذا المنحى يقلل من تعلم الفرد لخبرات جديدة فالخبرة التربوية بحق هي التي تزيد من مهارة الإنسان وتسمح له بتقبل خبرات جديدة، كما تكسبه "المتعة المباشرة مثل الاحتفالات والزخرفة والرقص والغناء والعمل المفيد الذي يؤدي إلى فنون عملية ومعرفة علمية".¹

لقد أعاب "جون ديوي" على التربية التقليدية عدم تدبرها للخبرات التي يمر بها الطفل أثناء تربيته بحيث عجزت على تحديد الخبرة المناسبة للعمل التربوي مما أضعف الذكاء والسلوك بل وأدت إلى كراهية التعليم وفقدان حوافزه. ومن هنا دعا إلى تُظهر التربية التقدمية أهمية الخبرة وضرورتها وتبين أنواعها التي تُؤثر في السلوك وتساعد الفرد على اكتساب خبرات لاحقة لأنه ليس هناك خبرة تبدأ وتنتهي مستقلة بذاتها بل تترك أثارا مثمرة ومنتجة لخبرات جديدة ومتجددة، ومن أجل ذلك وضع "جون ديوي" معيارين أساسيين للخبرة بهما يتحدد نوعها وتحقق وظيفتها التربوية وهما:

1-1 الاستمرار : أو تواصل الخبرة، وهو سمة ضرورية في الخبرة التربوية لأن النمط القديم لم يكن يراعي هذا المقوم مما جعل التربية التقليدية تنحرف عن النمو وتتجه الاتجاه غير السليم، ويعني هذا المبدأ أن الخبرة الحاضرة تأخذ من الخبرة السابقة وتستفيد منها، وتشارك معها في ظروف مختلفة، وتتصل أيضا مع الخبرة اللاحقة لتأخذ بها إلى مستوى أعلى وأفضل، وبالتالي تشارك معها في ظروف وعوامل معينة والخبرة التربوية السليمة هي التي تُكتسب عن طريق الديمقراطية أي تقوم على المشاركة الحرة الفعالة للفرد داخل المدرسة أو المجتمع، وعن هذا الطريق الديمقراطي تنتج خبرة راقية²، لأنها بعيدة عن كل ضغط وإكراه على عكس ما كان يحدث في التربية الكلاسيكية التي تجبر الأفراد على حمل المعلومات كما يراها المربون دون مراعاة رغبات الأطفال وقدراتهم ومستوياتهم الفكرية والنفسية. وبناء على ما ذكرناه يتضح أن مبدأ استمرار الخبرة ينمي الفرد من الناحية الجسمية وكذا العقلية، فالطفل الذي يتعلم الكلام يكتسب سلاسة جديدة ورغبته في التعلم تزداد توسعا في مجال الظروف الخارجية فالبينة التي تصنع من الفرد طبيبا أو محاميا هي التي تستطيع أن تجعله أكثر استجابة لظروفها، فهو الذي تكون ميوله

¹ وليام كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة محمود السيد أحمد، دار التنوير، بيروت، ط1، 2010، ص 527 .

² أحمد فؤاد الأهواني، مرجع سابق، ص 54 .

ورغباته النفسية أكثر تأقلا معها، ذلك أن الخبرة إذا كانت توسع مجال الظروف الخارجية فهي أيضا تقوي الميول الداخلية، ومبدأ استمرار الخبرة التربوية يعتمد أساسا على العادة أي يمارسها الفرد حتى يتم تعديل سلوكه بما يساهم في نقل الخبرات التالية. فالسلوك الّتع ودي في هذا المعنى يتضمن التكوين في، الجوانب النفسية والانفعالية والعقلية كما يتضمن أيضا كيفية مجابهة مقتضيات الحياة ونظرا لدور الخبرة في تنمية الفرد فإن الإنسان ملزم أن يكافح من أجل المحافظة، على الاستمرارية في الخبرة وهذا ما يتماشى مع المعنى الحقيقي لفلسفة التربية وعلى المربي أن يؤمن بذلك. ويمكننا أن نخلص إلى أن مبدأ استمرار الخبرة يتضمن صفات كثيرة أبرزها:

- إن معيار الاستمرار والاتصال في الخبرة التربوية هو الذي لا ينظر إلى الحاضر والمستقبل كنفقيين منفصلين بل ينظر لهما على أنهما متواصلان يكمل كل منهما الآخر، فالخبرة الحاضرة تكشف عن الخبرة اللاحقة.
- يجعل هذا المعيار من التربية عملية نمو مجالها الحاضر الذي يفيد الإنسان في المستقبل.
- أصبحت الاستمرارية أساسا للتربية في عصرنا الحاضر والتربية المستمرة تشمل كل الأعمار وكل المجالات والمستويات طالما أن الحياة في تطور مستمر.

1-2 التفاعل (Interaction):

في حديثنا عن طبيعة الخبرة وجدنا أنها تعني من الناحية الفاعلة: المحاولة والتجربة، ولما كان ليس ثمة شيء في الوجود يوجد منعزلا بل كل الأشياء في ترابط فالكواكب السيارة توجد وتتحرك في نظم شمسية، وكذا النباتات والحيوانات تتحرك في ظروف وأحوال متفاعلة ومتداخلة، فكذا الأمر بالنسبة للإنسان الذي يعيش على الاتصال بالآخرين، إذ بمجرد خروجه من الأسرة يجد علاقات وروابط أخرى في المدرسة والمجتمع، فإذا جرد من هذه الروابط فقد إنسانيته. وبهذا فالخبرة هي التي تجعل الفرد يعيش دائما في تفاعل مع الأشياء التي تمثل وسطه ومع الآخرين الذين يتواصل معهم، كما هي محصلة ذلك التفاعل، لأنها تحدث عن طريق المحاولة والتجربة مما يثبت فعالية الخبرة من جهة وعمق التجربة.

وشساعتها من جهة أخرى ويرى "ديوي" أن فكري "الموقف" و"التفاعل" لا تنفصلان لارتباط الفرد بالآخرين وبالواقع مما يثبت استمرارية التفاعل بين الأشخاص والأشياء في الحياة. فالخبرة وظيفة اجتماعية تجمع بين الفرد والبيئة وتتميز بدوام التغير والتجدد وهنا يلتقي مبدأ الاستمرار مع مبدأ التفاعل في الخبرة التربوية، هذا الذي يمثل انتفاضة ديوي "على التربية القديمة في تركيزها على الظروف الخارجية وإهمالها لميولات الأفراد، فالتربية التقدمية

تقوم على التفاعل بين الظروف الداخلية من جهة والخارجية من جهة أخرى ويسمى تفاعلها "موقفا" ¹ يفضي إلى خبرة تربوية سليمة، وتتنوع الخبرات الناتجة تبعا للفروقات الفردية من حيث الاستعداد والتفاعل، ولهذا يؤمن المربون بأنه لا يمكن معاملة جميع التلاميذ في المدرسة معاملة واحدة، فقد تكون هناك مساواة من حيث توفير وسائل التفاعل ولكن لا يمكن ضمان تلك المساواة من الناحية التربوية، لأنه كلما زادت اختلافات الأفراد زادت اختلافاتهم في الخبرة، ولما كان "ديوي" يهدف إلى الحفاظ على الأتزان بين ميولات الفرد ومقتضيات البيئة عمل في إصلاحه التربوي بتركيز الجهود على الطفل في كل جوانبه باعتباره طرفا مركزيا في عملية التفاعل دون إغفال الجانب الآخر من التفاعل وهو المدرسة أو البيئة وظروفها، وهذا التوازن في التفاعل هو الذي يكون الخبرة ويجدها. وعليه إذا لم يكن نتيجة تفاعل الخبرة هو التغيير الذي يحدث للفرد وليئته فلا يمكن أن توصف بأنها خبرة مربية، ونخلص مما ذكرناه على مبدأ التفاعل كمعيار للخبرة إلى ما يلي:

- أن التفاعل الذي يشير إلى الترابط بين الفرد وميولاته والظروف المحيطة به ترابط أفقي لا عمودي كما عهدته التربية القديمة، بحيث لا يمكن فيه إهمال الطرف المركزي وهو الفرد والتركيز على المادة التعليمية فقط، وهذا التفاعل هو معيار الخبرة التربوية².

- وفي الخبرة يتجلى التفاعل بين ثلاث مستويات وهي: المادة والحياة والذهن، وكل ذلك يعبر عن التبادل المشترك بين الفرد وبيئته أو بين التلميذ ومادته التعليمية.

- الخبرة الناتجة عن كل تفاعل ليست واحدة بين الأفراد بحكم طبيعة قدراتهم وما يحيط بهم.

- تتنوع الخبرة تبعا لتنوع المواقف فهي في تجدد وتعدد.

- إن التقدم العلمي الحاصل يمكن الخبرة "حينما تصبح تجريبية أن تُنمي أفكارها ومعاييرها المنظمة الخاصة بها"³، وبالتالي تتجدد الخبرة والمعاني والقيم والأفكار الفلسفية والدينية التقليدية وتتجه إلى الواقع المتغير والذي يتسم بالتطور.

¹ أحمد فؤاد الأهواني، مرجع سابق، ص 56.

² وليام كلي رايت، مرجع سابق، ص 527.

³ جون ديوي، البحث عن اليقين، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، دار إحياء الكتب العربية مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة - نيويورك 1960 م، ص 132.

خلاصة القول، أن "جون ديوي" جعل من هدف التربية هو النمو في كل نواحي الفرد الجسمية والعقلية والنفسية، وذلك لا يتحقق في ظل النظام التربوي الكلاسيكي القائم على إهمال قيمة الخبرة والتركيز على الأفكار والتصورات العقلية المجردة بعيدا عن دور الطفل المعني بالتربية، بل يتحقق بالخبرة والتي تتأسس على مبدئي التفاعل والاستمرار، ذلك أن المهمة التربوية اليوم أصبحت أكثر من ذي قبل تهتم بالنمو الناتج عن اكتساب خبرات جديدة من التفاعل بين قوى الفرد و ميولاته مع محيطه بحيث يتسنى للمربين الاعتناء بأفعال واهتمامات الأطفال في كل الأنشطة بما ينمي فيهم الجوانب العقلية و المهارية نمو حرا وبصورة دائمة ومستمرة، هذه الخبرات تتواصل مع بعضها البعض وترتبط فيما بينها لتؤدي إلى الزيادة في النمو بما يعبر عن استمرارية الخبرة التربوية، إلى جانب ذلك حاول "جون ديوي" أن يصل إلى تحسين الواقع بتسخير الخبرة التي تساعد على تشخيص المشكلات والتعرف عليها وتكون طرقا وحلولا لها وتشكل حلولا جديدة لمشكلات أخرى وهذا بحكم التفاعل، وهكذا تستمر العملية التربوية ويستمر معها دور الخبرة بحيث لا تصل إلى الكمال في بلوغ الحلول أو التنشئة الكاملة ذلك أنه لا يؤمن بالكمال والمطلق والثبات .

2- المنهج الأداتي ودوره في بناء فلسفة التربية التقدمية:

مما لاشك فيه أن الخبرة ساهمت في بناء فلسفة التربية عند "جون ديوي" بشكل واضح كما ساهمت أيضا في إبراز المناهج والطرق التي تُظهر النجاح والتقدم وتمييزه عن الفشل والإخفاق¹، ولقد بينا ذلك من خلال نظرتنا إلى المنطق والتي تقوم على جعل الفكرة وسيلة لكل معرفة، وتبعاً لذلك أضحت منهجيتها تقوم على استخدام نتائج البحث كوسائل للدلالة على صدق القضايا، فالصدق عنده هو ما يفيد وينفع²، وهو يجمع بين الصدق والنافع، فالصدق عنده ليس صدقا إلا لأنه نافع وليس نافعا إلا لأنه وسيلة تستجيب للواقع المشخص للإنسان.

ويبدو أن تأكيد "جون ديوي" على أن الفكر ذريعة لخدمة الحياة والفلسفة نظرية عامة في التربية يشير إلى العلاقة الوثيقة بين التفكير الفلسفي والمجال التربوي من جهة ودور التصورات الفلسفية لكل فيلسوف في حل المشكلات الاجتماعية في الحياة من جهة أخرى، تلك التصورات هي وسائل يتم الاعتماد عليها في معالجة كل القضايا الراهنة لما أخذ "جون ديوي" بالمنهج التجريبي الذي وضعه "يكون" حاول ربطه بالشؤون الإنسانية والاجتماعية لتأسيس منهجه الأداتي وأخذ من خطواته الثلاثة (الملاحظة والفرضية والتجربة) دعامة للتفسير المنطقي وأسس نظريته في البحث التي تقوم على مراحل مترابطة، إذ تبدأ بالمشكلة وتنتهي بالحل الذي يمثل نتائج

¹ محمد جديدي، مرجع سابق، ص 210 .

² فؤاد زكرياء، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل بيروت، ط1، 1993، ص 120 .

البحث، والتي تصبح بدورها أدوات ووسائل يستخدمها الفكر في مواجهة مشكلات أخرى، فالأفكار في المنهج الأداتي مهما اتسعت وخلت من التناقض وتحقق فيها الانسجام الذاتي ينبغي إخضاعها لمحك التجريب العلمي لتكون أدوات صالحة لأعمال ممكنة. وبهذا تتجلى الفلسفة الأداتية عنده فهي تدعو إلى التخلص من الطابع الميتافيزيقي الكلاسيكي والتحلي بالمنهج العلمي والاستفادة من نتائجه، وعلى هذا الأساس تميزت فلسفته بالطابع العلمي وفي كل مجالاتها.

وتبعاً لانشغال "ديوي" بالمعضلات الاجتماعية التي تواجه الإنسان والمتفاقمة في الحياة والتي تزداد وتيرتها بفعل التقدم العلمي والتكنولوجي، حاول أن ينحو المنحى العلمي في معالجتها فبني منهجه البراغماتي الجديد بتغيرات الوقائع وسيورتها الدائمة وانتهى إلى أن المرء لا يمكنه من معالجة عوائق الحياة دون تسخير كل الوسائل العملية والعلمية، فاتخذ من نتائج العلم ذرائع لخدمة الحياة ونظر إلى التفكير كأداة تمكن الإنسان من تنظيم المجتمع وربطه بمعطيات الواقع، ومن أجل ذلك جعل "ديوي" الذكاء وهو الذكاء الاجتماعي القائم على التوجيه المتبصر أو المتعقل منهجا يلائم التفكير الذي بوسعه تهيئة الوسائل لإحداث التغيير في الظروف والأحوال ولا يتأتى له ذلك إلا بإجراءات عملية في الواقع، حتى يتمكن الإنسان من التكيف مع محيطه، فاتخاذ الذكاء كأداة لتحقيق ذلك الانسجام والتكيف هو ما يفسر تسمية فلسفته بالوسيلية، ويرى في منهج الذكاء وفق خطواته المعروفة أي الملاحظة وبناء الفروض واختبارها في الشؤون الإنسانية سبيلاً لتجاوز العوائق الاستمولوجية التي تحول دون البحث العلمي، كما يمكنه من تناول المشكلات الاجتماعية تناولاً واقعياً بعيداً عن الاعتبارات الذاتية والبواعث التقليدية، فهو يقينا المخاطر إذ يسمح لنا بأن نحسن في أذهاننا شتى الأفعال الممكنة بدلا من أن نجرها في الواقع نفسه وأما إذا اتصل بالمشكلات التي لا تنشأ من ظروف اجتماعية حقيقية كان تفكيراً مجرداً لا طائل منه وكانت نظرياته مصطنعة.

ومن هنا يبرز دور منهج الذكاء في الميدان التربوي وفي الشؤون الإنسانية عموماً، إذ له القدرة على تحقيق نتائج إنسانية تبلغ في نجاعتها ما تبلغه الظواهر الفيزيائية فهو المنهج الذي ينبغي إتباعه عن طريق توجيه الأفكار توجيهها وظيفياً أي باعتبارها وسائل لتجاوز العوائق التي يثيرها الواقع الاجتماعي والتي تُفضي إلى تكوين مواقف جديدة، ذلك التوجيه البصير هو الذكاء، والذكاء عند "ديوي" لا يعني العقل بمفهوم اليوناني الكلاسيكي، إنما هو في معناه المنطقي مرتبط بالحكم ويعني القدرة على تقدير المواقف حق قدرها، والتصرف بما يقضي به تقديره¹، وبهذا المنهج يتم إعادة بناء القيم الاجتماعية التي تُغير المجتمع ومُحدده وفي مقدمة هذه القيم الديمقراطية والتي تُعد

¹ جون ديوي، البحث عن اليقين، مرجع سابق، ص 15.

من أهم مبادئ الليبرالية، فالديمقراطية الأسمى تتحقق بوسيلة الذكاء المنظم، فمنهج الذكاء المنظم هو أساس قيام المجتمع الديمقراطي الذي يصفه "ديوي" بصفتين أساسيتين: فأما الأولى فتمثل اشتراك أفرادها في المصالح المتنوعة وأما الصفة الثانية فتعني التفاعل الحر بينهم تفاعلا يدل على التكيف المستمر والمتجدد والنتائج عن مجابهة ما يوجد من المواقف التي تنشأ من شتى ضروب بالاتصال إن تأكيد "جون ديوي" على دور منهج الذكاء من أجل تطبيقه تطبيقاً موضوعياً في كل المواقف الاجتماعية لتنشئة مجتمعاً متقدماً اجتماعياً وسياسياً وهذا التوجه يثبت عقيدته التي يؤمن بها والمتمثلة في اعتبار التفكير أداة تمكن الإنسان من التكيف مع المتغيرات والتي تعبر عن فلسفته الوسيلية، وهذا التأكيد هو من أجل تحقيق مشروعه الاجتماعي الذي يرتبط بصورة ملزمة مع فلسفته التربوية، الأمر الذي جعله يهتم بالتربية ويتيقن بأنها هي الأداة الكاشفة على نجاعة مشروعه، ومن هنا كان لفلسفته الوسيلية أثراً عميقاً في إبراز تصورات التربوية التي ترى في التربية أداة ترتقي بالمجتمع إلى الديمقراطية حينما تتحلى بالمنهج العلمية والدراسات الموضوعية، وحينها تصبح الديمقراطية هي في حد ذاتها منهجاً علمياً.

المطلب الثالث: مفهوم فلسفة التربية عند جون ديوي

يرى "ديوي" في كتابه "الديمقراطية والتربية" أنه عرض "فلسفة التربية" في فصوله الأولى دون أن يقدم لها تعريفاً واضحاً، الأمر الذي جعله يعترف بأن البحث فيها يتطلب الوقوف على المسائل الفلسفية المرتبطة بنظريات المعرفة والأخلاق المتضمنة في مختلف المثل التربوية العليا¹، وليس من شك في أن ما أورده من مواقفه حول مجالات الفلسفة يتضمن غايات تربوية، وعلى هذا الأساس يمكننا إبراز مفهومه لفلسفة التربية من خلال تتبع العلاقة التي تربط الفلسفة بالتربية، ولهذا نبدأ في البحث عن هاته العلاقة.

يثبت التاريخ العلاقة الوثيقة بين الفلسفة والتربية حيث اعتمد رجال التربية على الفلسفة و تحديد ملامح نظرياتهم التربوية ومضامينها ومناهجها، فمثالية أفلاطون كان لها الأثر الواضح على فكره التربوي، كما تأثرت التربية عند روسو بفلسفته الطبيعية، وكذا الأمر بالنسبة لتأثير الفلسفة البراغماتية والأداتية على الفكر التربوي عند "جون ديوي"، لقد كان أفلاطون أوضح الفلاسفة القدامى في التعبير عن العلاقة بين الفلسفة والتربية حيث أولى لها عناية خاصة في جمهوريته وربطها مباشرة بتوجهه الفلسفي²، فكان لهذا أثراً كبيراً على كل من جاء من بعده بما فيهم "جون ديوي" والذي أقر بذلك في قوله: "إن الفلسفة الأوروبية عند الاثنين قد نشأت في ظل الحاجة الملحة

¹ جون ديوي، التربية والديمقراطية، ترجمة منى عرفاوي، زكرياء ميخائيل، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، القاهرة، 1953، ص332.

² صادق سمعان، الفلسفة والتربية (محاولة لتحديد ميدان فلسفة التربية)، دار النهضة العربية، القاهرة، ص89.

إلى حل القضايا التربوية"،¹ إلا أن الاختلاف في الرؤى الفلسفية بين الفلاسفة ينعكس وبصورة واضحة على النظريات التربوية، بدليل أن رجل التربية يأخذ من مجالات الفلسفة ما يساعده على تعليم الأطفال حيث يأخذ من القيم والمعرفة وغيرها بما ينمي قدرات الأفراد وأصر "جون ديوي" على توثيق الصلة بين الفلسفة والتربية على اعتبار أن هاته الأخيرة هي الكفيلة باختبار صحة المبادئ الفلسفية وتساعد على إصلاح المجتمع وتغييره، وحمله على مساندة الإيقاع المتسارع لظروف الحياة²، حيث حصر قيمة الفلسفة في تحديدها للمشكلات واقتراحها لطرق معالجتها، لأن المذهب الفلسفي يسعى إلى إيجاد سبل التكيف الاجتماعي ويعمل على تشخيص المشكلات التي تعترض الفرد في واقعه ويبحث عن الحلول لها انطلاقاً من الواقع المتغير، أما إذا بقت في سياقها الفكري المجرد تخص الفلاسفة دون غيرهم وتبتعد عن الواقع فإنها تصبح تشكل خطراً على الفكر والإنسان والمجتمع.

وتبدو معالم الترابط بين الفلسفة والتربية التي يسعى إليها "جون ديوي" من خلال دعوته إلى تقريب الفلسفة من الواقع حتى تُعين الفرد على فهم مشاكله الاجتماعية وتساعد على تجاوزها وتغدو من فورها هذا صوغاً صريحاً لمصالح الحياة المختلفة، وشرحاً لوجوه النظر والأساليب التي تكفل إيجاد التوازن المجرد بين هذه المصالح³.

وهكذا يبرز الترابط الوثيق بين النشاط الفلسفي النظري والنشاط التربوي العملي. لقد جعل "ديوي" مفتاح الفلسفة هو التجربة لأن الحياة متغيرة ومتطورة، حيث يبدأ التفكير من الشك الذي يطمح إلى تحويل وضعية غير منظمة وتنصف بالفوضى إلى وضعية واضحة ومتجانسة، ولا يتحقق ذلك إلا بعمل تربوي يقوم على تحويل تلك الافتراضات الفكرية إلى حلول وضعية مما يحدث تغيير الأوضاع على الفرد والمجتمع⁴، وبناء على ذلك تكون مشكلات التربية ذات طابع فلسفي عام ولا تستطيع النظريات والمناهج التربوية أن تتأسس وتنجح من دون النظر إلى المشكلات الفلسفية في الحياة، ذلك أن التربية التقدمية هي الحياة ذاتها، كما هي عملية اجتماعية وتكشف عن الواقع وتعمل على تبديله وتغييره⁵، وكذا طبيعة الإنسان نفسه لأنه هو المقصود من التربية بل هو أساسها ومركزها المحوري. ويبرز مفهوم فلسفة التربية عنده في أنها استخدام الطريقة الفلسفية في التفكير لمناقشة المسائل التربوية حيث اعتبر "جون ديوي" الفلسفة هي النظرية العامة في التربية⁶ وهي من جهة أخرى النشاط المنظم الذي يتخذ من الفلسفة وسيلة لتحديد منطلقات وتوضيح الأهداف التي يود تحقيقها، وفيلسوف التربية هو أيضاً

¹ جون ديوي، الديمقراطية والتربية، مرجع سابق، ص 337.

² محمد جديدي، مرجع سابق، ص 227.

³ جون ديوي، الديمقراطية والتربية، مرجع سابق، ص 339.

⁴ Gérard Deledalle, La Philosophie Américaine, éditions L'Age, Suisse, 1983, P 175.

⁵ محمد جديدي، مرجع سابق، ص 228.

⁶ جون ديوي، الديمقراطية والتربية، مرجع سابق، ص 336.

"ذلك المهندس الذي يخطط ويرسم مخططاته انطلاقاً من حاجات المجتمع"¹، واختلاف الرؤى الفلسفية في نظره لا يؤدي إلى الاختلاف في التطبيق التربوي ذلك أن إدراك حلول المشكلات الواقعية يختلف من شخص لآخر.

لقد اتضح المفهوم الذي قدمه "جون ديوي" لفلسفة التربية، غير أن هذا المفهوم يوحي لنا بعدم تفرقة ولا تمييزه بين فلسفة التربية ونظرية التربية إذ يجعلهما وجهان لعملة واحدة وهو ما يف سر التداخل الذي وضعه بين التربية والفلسفة حيث تلخص فكرة ديوي المتعلقة بمعنى التربية وطبيعتها بأنها: « الحياة نفسها و ليست مجرد إعداد للحياة، فهي مرتبطة بشؤون الحياة أشد ارتباطاً، و عملية نموّما يتطلّب مراعاة شروط النمو و شروط التعلم (البيولوجية والنفسية) مع انها عملية اكتساب للخبرة و هذا يعني مراعاة شروط اكتساب الخبرة) تفاعل الفرد مع الفئة الاجتماعية (و تتضمن تفاعلاً اجتماعياً، تتم في جو ديمقراطي و جو اجتماعي صالح»²

وما يؤكد ذلك قوله: "التربية كالفلسفة في صعوبة عزل أي مبحث من مباحثها ابتغاء البحث والمناقشة"³، فالترادف الذي وضعه بين الفلسفة والتربية مرده إلى اشتراكهما في وظيفة واحدة فكلاهما يقوم على نفس المبادئ الأخلاقية ويحمل نفس الغايات الاجتماعية هذا الذي أثر على الكثير من فلاسفة التربية إلى درجة أن تفريقهم بين فلسفة التربية ونظرية التربية يكاد يختفي، فكثيراً ما يتم استعمالهما على أحدهما كلمتان تؤديان معنى واحداً، فلما اعتبر "ديوي" "التربية عملية تكوين النزعات الفكرية والعاطفية في الإنسان تلقاء الطبيعة وأخيه الإنسان"⁴ أراد أن يشير إلى أن تحقيق تربية سليمة للفرد يقتضي تجسيد النظرية التربوية في الواقع تلك النظرية المتمثلة في الأفكار ذات الصلة بالحقائق وكذا واقع الحياة والتي تكون قابلة للتحقيق حتى تصبح أفكاراً عملية، وإذا لم يتم ترجمة تلك النظرية في الواقع تبقى أفكاراً مجردة لا طائل منها. فالنظرية في التربية ترتبط بالخبرة، ومادام لكل إنسان خبرة داخل مجتمعه فإنّه ينبغي على المرء أن يكون ملماً بها، فذلك الربط الذي يقدمه "جون ديوي" بين الجانب النظري والذي يمثل النظرية التربوية والجانب التطبيقي المتمثل في التحقيق الميداني لتلك النظرية يوضح مدى إمكانية أن تُصبح النظرية التربوية نظرية علمية وهذا إذا ما تم الالتزام بالأسس العلمية، فمن البديهي إذن أن يوجه "ديوي" التربية نحو العلم ومناهجه لأنه يطمح إلى التربية التقدمية التي تصلح المجتمع وتجعله يساير الازدهار العلمي، وبهذا فالنظرية التربوية موجهة للتطبيق التربوي مما يثبت أن الفلسفة التي يقصدها هي نظرية في التربية، والتربية هي الأداة لتطبيقها في

¹ محمد لبيب النجحي، مقدمة في فلسفة التربية، دار النهضة العربية بيروت، 1992، ص 32.

² أحمد الحكيم كرام و آخرون، محاضرات في فلسفة التربية، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب و العلوم الإنسانية، قسنطينة، 2004، ص 36.

³ جون ديوي، المبادئ الأخلاقية في التربية، ترجمة عبد الفتاح السيد هلال، مراجعة أحمد فؤاد الأهواني، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966، ص 65.

⁴ جون ديوي، الديمقراطية والتربية، مرجع سابق، ص 336.

الميدان، ذلك ما جعله يسعى جاهداً إلى ترجمة أفكاره التربوية ترجمة عملية بالاعتماد على المنهج العلمي في تطبيق أفكاره كمنهج جديد للوصول إلى نتائج تقدمية تنعكس على الفرد والمجتمع في الحياة، وهنا يتضح أن اعتبار "ديوي" الفلسفة نظرية في التربية إنما هو إعلاء من قيمة فلسفة التربية التي تسعى لبلوغ الأهداف العملية والتي نُوجزها في ما يلي:

- تعميق الفهم المشترك بين الأفراد داخل الوسط حملهم على إدراك المشكلات والعمل على تجاوزها.
- العمل على تحقيق الانسجام في عمليات التطور الاجتماعي بتكريس الحرية والتكيف والنمو وغيرهما.
- الأخذ بالنتائج العلمية بما يساعد الفرد على وضع تخطيط جديد لعملية النمو ويجعل من نتائج مخططاته أدوات تؤدي به إلى بلوغ النمو الفعال في الحياة الاجتماعية على اعتبار أن عملية النمو عملية مستمرة.

خلاصة الفصل :

وخلاصة القول أن هدف " ديوي " من ربط فلسفة التربية بواقع الحياة، وجعل من النظريات التربوية أدوات لحل المشكلات الواقعية هو أن يخرج التربية من طابعها الكلاسيكي الضيق إلى فضاء التقدم العلمي . وهذا ما يشير إلى توجهه البراغماتي وطبيعة منهجه الأداتي الذي كان هو الصورة الجلية والغالبة فيما قدمناه عن فلسفته التربوية بين الماهية والنشأة، ولقد جعل من الفلسفة نظرية للتربية وجعل من التربية أداة لتحقيق الفلسفة في الواقع بل محكا لجميع النظريات الفلسفية، فكان مفهومه لفلسفة التربية يؤكد بأنه واحد من المجددين البارزين في الميدان التربوي، الأمر الذي يجعلنا شغوفين بالاطلاع على أهم أفكاره التربوية الجديدة، ولكن بما أن لكل نظرية أو فلسفة أصل ومنشأ فإنه لا بد لنا من الوقوف على المرتكزات والأسس التي اعتمد عليها " جون ديوي " في نشأة فلسفته التربوية التقدمية.

الفصل الثاني:

إستراتيجية فلسفة التربية الديوية و

أثارها

تمهيد:

يتضح من معالم فلسفة التربية عند "جون ديوي" وأفكاره التربوية التي تمثل زبدة جهوده التي أراد أن يخدم بها المجتمع الأمريكي خاصة والإنسانية عامة في أهم ميادين الحياة وهو التربية، حيث استطاع أن يوجه كل العناية والاهتمام إلى المتعلم باعتباره القاعدة التي يتأسس عليها كل بناء. وركز في أفكاره على النمو في الجوانب النفسية والاجتماعية والفكرية للأطفال واعتبر النمو الغاية القصوى للتربية وجعل من التربية الأداة التي تحفظ الكيان الاجتماعي للإنسان وأراد تقريبها من الواقع المعاش حتى يتعد عن الأخطار التي أفضت إليها التربية التقليدية والتي فشلت لما ابتعدت عن واقع المتعلم.

لقد برزت معالم فلسفة ديوي التربوية في المدرسة الأمريكية باعتبار الواقع الأمريكي هو الذي ساعد "ديوي" على توجيهه النفعي والبراغماتي في التربية في ظل انتشار قيم الديمقراطية والحرية والتقدم العلمي والتقني والإيمان بالتغير والتنوع الذي يطبع جميع الظواهر، فكان بذلك تجديد المجتمع في نظره أمر ضروري يتطلب تغيير المبادئ التربوية القديمة وبناء تربية جديدة في مناهجها وموضوعاتها وطرقها ينطلق من الواقع المدرسي الذي هو جزء لا يتجزأ من الواقع الاجتماعي.

المبحث الأول: خصائص المدرسة التجريبية لديوي

المطلب الأول: الطفل محور العملية التربوية

لقد صرح "ديوي" في سنة 1896 بأن المدرسة هي الشكل الوحيد المجرد للحياة الاجتماعية الذي يعمل في وسط مراقب والذي يصلح للاختيار المباشر و إذا كان للفلسفة أن تصبح يوم علما تجريبيا فان الانطلاق تكون بنائها، وقد وصل "ديوي" إلى شيكاغو عنده فكره واضحة عن نوع المدرسة المختبر التي كان يود إنشاءها بنفسه فحاول تأسيسها لغرضين أساسيين اتضح لنا من خلال قوله "تراود فكري يوما بعد يوم صوره مدرسه يكون فيها أي نشاط بناء حق المحور كل شيء ومصدر كل شيء وينطلق العمل منها على الدوام في اتجاهين اثنين: البعد الاجتماعي لذلك النشاط البناء من جهة و الاتصال بالطبيعة بما يؤمن لها المادة الأولية من جهة ثانية (...). كل ذلك في إطار تدريب طبيعي، محسوس وإيجابي، للعين واليد .

أكد على ضرورة الربط بين العنصر الاجتماعي والنفسي للطفل في "عقيدته التربوية": "أنا اعتقد أن الفرد الذي يراد تربيته فرض اجتماعي وان المجتمع هو وحده منظمه من الأفراد. فإذا ما نزلنا العنصر الاجتماعي للطفل لم يبقى سوى مجموعه من الغرائز والميول والقوى المجرد المعنوية، وإذا نزعنا العامل الفرد من المجتمع لم يبقى سوى مجموعه من الناس وأفكار وقوانين لا الحياة فيها التربية يجب أن تبدأ بدراسة نفسه، وفهم للطفل وقواه الطبيعية وميولاته وعاداته و لنبدأ من حيث ما أفاد به "ديوي" الجانب الطبيعي النفسي للطفل ثم نتطرق للبعد الاجتماعي من تأسيسه للمدرسة إذا كان المنهج الدراسي قد مثل مركز الثقل في المدرسة التقليدية فان الطفل قد مثل محور العمليات التعليمية في المدرسة التجريبية "مدرسه المختبر" التي أكدت على أهمية الانطلاق من الطفل نفسه، أي من قابليته ومدونه وطباعه يقول ديوي: "وفي الوقت الحاضر تغيير المقبل في تربيتنا وتحول مركز الجاذبية فهو تغير أو ثورة ليست غريبة في تلك التي حدثتها كوبر نيكس عندما تحول المركز الفلكي من الأرض إلى الشمس ففي هذه الحالة يصبح الطفل الشمس التي تدور حول التطبيقات التربية وهو المركز الذين ننظمها حوله.¹

تركز على الأهمية البالغة للطفل واعتبره المحور الأساسي الذي تدور حوله العملية التربوية بجميع عناصرها وأهدافها، وان ميول الطفل واتجاهاته المنطلقة من دوافعه وحاجاته المختلفة في المحددات الأساس لفلسفه التربية وأغراضها بعدما كانت التركيز منصبا على المعلم والمنهج في المدرسة التقليدية. وذلك يتطلب وعي تام ودراسة نفسية لطبيعة الطفل من قبل القائمين على العملية التعليمية: "ينبغي على قاده التربية أن يكون على دراية بعلم

¹ جون ديوي، المدرسة والمجتمع، مرجع سابق، ص 54 .

النفس التربوي الصحيح (...). أن يكون لديهم أساس كافي من الدراسة النفسية للمادة الحقيقة لضرورة ومغزى ما يقومون به من عمل.¹ لذلك يقول عن أهداف مدرسته: "فهي ليست دار المعلمين ونظام لإعدادهم ، ليست مدرسه نموذجيه لأنها لا تنوي أن تطبق هي فكره أو وجهه نظر معينه، ولكن مهمتها هي مشكلة استعراض تربيه الطفل في ضوء مبادئ الفاعلية العقلية والعمليات النمو التي أصبحت معلومة باستخدام علم النفس الحديث.²

ولذلك تبقى مشكله المختبر من ناحيتها التطبيقية العمل على إنشاء منهج دراسة ينسجم مع التاريخ الطبيعي لنمو الطفل المقدره والخبرة لان التأكيد على نمو الطفل إنما هو التأكيد على تحليل قدراته العقلية من قيودها واطاحة الفرصة لها للانطلاق حتى تستطيع أن تستخدم بطريقه فعاله إمكانيات البيئه التي يعيش فيها لقد استفاد "ديوي" من النتائج التي توصل إليها علماء النفس المعاصر حول طبيعة نمو الأطفال واحتياجاتهم في كل مرحله من مراحل حياتهم. في وضع موضوعات الدراسة وكذا المناهج التي لا بد في نظره أن تستجيب بصوره محده لحاجات وقوى فتره معينه من النمو كما تستجيب إلى أنماط من الأعمال الإنسان التي ترتبط المواد الدراسية المختارة بصورة حيوية في النمو. فإذا كان علم النفس التقليدي يعتبر العقل مسالة فرديه محصنه ومجرد بالعالم الخارجي ولم يثر إلا سؤال واحد وهو مسالة الطرق التي يتم بها تبادل الاتصال بين كل من العقل والبيئه .

كما انه لم يكن إلا علم نفس المعرفة نظريه أي عقليه فقط الغي من اهتماماتي العاطفة والكفاح التي جعل شيء عربي والثانوي فان علم نفس المعاصر اعتبر عقل الفرد وظيفه للحياة الاجتماعية إذا أخذنا بهذه النظرية النفسية المعاصرة لاهتمامات الطفل فان ذلك لا يتحقق إلا بالرجوع إلى تغذيه سليمة للاتجاهات النفسية السائدة عن طريق تشجيع روح العمل والتأكيد على مجال الخبرة في التربية التي تدخل ضمن اهتمامات الطفل وميوله.

المطلب الثاني: الاتجاه العملي للمدرسة

لم يقتصر الاهتمام الذي وجهه ديوي إلى المدرسة على الناحية النظرية فقط ،فذلك ليس منتظرا من الفيلسوف برغماتي يقدر العمل وإنما تعداه إلى الناحية التطبيقية. فقط أدى تقدم العلوم التجريبية لرفض كل ما يسمى المعرفة الأصلية والفهم المثمر إلا ما كان ناتجة عن الأفعال ، في تحليل الحقائق وإعادة تنسيقها لتنمية المعرفة وقوة الإضافة وحسن التنسيق لا يمكن التوصل إليه عن طريق العقل وحده فالإنسان بالنسبة "الديوي": يجب أن

¹ جون ديوي، المبادئ الأخلاقية في التربية، مرجع سابق، ص 119.

² جون ديوي، المدرسة و المجتمع، مرجع سابق، ص 99.

يفعل شيئاً إذا كان يريد أن يعثر على شيء ومعنى هذا انه يجب أن يغير الظروف القائمة وهذا هو الدرس الذي تقدمه الطريقة المعملية وهو الدرس الذي يجب أن تتعلمه التربية.¹

ذلك هو العمل التجريبي الذي يجب أن يجل إلى المدرسة من منظور "ديوي" وذلك بحكم تمجيده للمنهج العلمي الذي رغب في تطبيقها على العلوم التربوية مؤكداً في ذلك على علم النفس التطبيقي باعتباره يهتم بدراسة السلوك الطفل ونموه ويساعد على فهم طبيعته لضمان تربية سليمة له: "فان المدرسة يديرها قسم في الجامعة يلزم أن يكون لها وجه آخر. واهم قسم في عمل المدرسة هو القسم العلمي حسب وجهه نظري الجامعة، فهو يقدم التفكير التربوي (...). فالهدف العلمي وحده إجراء التجارب في المختبر على شرط أن يكون مماثلاً لغيره من المختبرات العلمية هو السبب في أن يكون الجامع مدرسة ابتدائية. لان مدرسة من هذا النوع ما هي إلا مختبر لعلم النفس التطبيقي.

ويضيف في قوله آخر: "أما في الوقت الحاضر فانك اكبر خدمه يمكن أن تؤديها أي مدرسه تجريبية للتربية هي فكره التجربة نفسها. نعم هي الطريقة التجريبية باعتبارها مثلاً اعلي في التفكير وباعتبارها الروح التي يجب أن نعالج بها أي مسألة اجتماعيه.² لان الطرق العلمية التي يتبعها العلماء والباحثين في نظر "ديوي" تعطي أمثله حية وصحيحة للمنحى الذي يسلكه ذكاء الطفل داخل المدرسة عندما يعمل بإتقان وفي ظروف ملائمة، وفي هذا يؤكد على الخبرة المباشرة الشخصية للطفل، والاشترك العملي الحسي بجميع الأعضاء الحسيه، وكذا استخدام السبل والمواد التي بها تتكون الخبرات والتجارب، بدلا من الوقوف فقط على ملخصات وقوانين وقواعد للنتائج التي حصل عليها الآخرون، بل لابد أن تكون هناك محاولات ايجابية يظهر فيها نشاط الطفل، التي تسمح لخبرته المباشرة بالنمو.

تمتاز فلسفه "ديوي" بتطبيقها للمنهج العلمي على الأمور الإنسانية التي تمتاز بالخبرة أو معاناة الفرد لها في مقابل الأمور الطبيعية المستقلة عن الخبرة الإنسانية، وقد ربط "ديوي" بشكل كبير بين الخبرة والتربية واعتبر من التربية عمليات إعادة بناء مستمر على أساس الذكاء، وميز بين نوعين من الخبرات منها الساذجة الغير التربوية التي لا تؤدي إلى النمو، والخبرة العلمية التي اعتبرها أساس التربية وهي التي تقوم على الفهم والإدراك ومعرفة العلاقات بين الأشياء مما يفيد في تكييف الفرد بنفسه في البيئة التي يعيش فيها والسيطرة عليها في النمو المستقبلي.³

¹ جون ديوي، الديمقراطية والتربية، مرجع سابق، ص 321.

² جون ديوي، التربية في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 145.

³ شبل بدران، احمد فاروق، أسس التربية، دار المعرفة الجامعية، ط 4، 2000، ص 76.

والخبرة التربوية هي التي تؤدي إلى استمرار نمو الشخصية الإنسانية في اتجاه الصالح للفرد وللمجتمع بحيث لا تضر بنمو الفرد ولا بالإفراد الآخرين والانحراف والخبرة عن الناحية التربوية معناه تقليل من قدره الشخص على الحصول على الخبرات الأغنى في المستقبل،¹ ولقد وضع "ديوي" معيارين لفحص الخبرات واختيار الصالح منها :

1- مبدأ الاستمرار: يعتبر الاستمرار أو التواصل الخبرة التربوية من أهم معايير الخبرة التربوية السليمة وهذا المبدأ يبرز في كل محاولة للتمييز بين الخبرات ذات القيمة التربوية والخبرات التي ليس لها هذه الصفة وقد يبدو من نافلة القول أن نقول أن هذا التمييز ضروري على أساس هذا المبدأ تصبح المدرسة على أساس المفهوم الجديد المكان الذي انشأ خاصة لتسهيل عملية الحصول على التغيير المرغوب فيه في الخبرة وهو المكان الذي تقدم فيه الخبرات الجديدة بشكل يهيئ أحسن مستويات لإعادة بناء وإعادة تنظيم للخبرة التي لا يمكن أن نفرق بينها وبين التربية بذلك تكون التربية على أساس هذا المعيار التربوي عملية نمو أو تصبح مجالها في الحاضر على الدوام.² وعلى هذا الأساس ينادي ديوي بتكفين الطفل الحاضر للطفل المستقبل باعتبار التربية كما عرفها هي الحياة وليس الإعداد للحياة فانه لا يمكن أن يكون سبب وجود المدرسة هي إعداد مواطن الغد، فهي لا يمكنها في أحسن الظروف إلى أن تخلق بما يتناسب مع الطفل المواقف التي سيتواجد فيها اليوم إذا كان راشد، فلا يمكن إعطاء حكم مسبق لما يكون عليه غدا ولكن "ديوي" يشير إلى إن الطفل الذي يعيش تجربته الخاصة المستمرة سيستعد بشكل أفضل ليعيش تجارب المستقبل والتي لا يمكن التنبؤ بها ولكنها امتداد لا يمكن تجنبه لتلك التي يعيشها اليوم في المدرسة.

وفي هذا يقول: "ينجم عن ذلك ضرورة عدم تهيئة المواطن المستقبل لوظيفة بعينها بل علينا إن نجعل منه شخص في حاله التعادل أو تابعا أو طاقة حالية مؤجلة في الانتظار العمل مستقبلا وفي هذا الرأي نجد "ديوي" و متأثرا "بروسو" الذي جاء قبله بالفكرة نفسها وعبر عنها في قوله: "ماذا نقول عن في التربية البربرية التي طفق حاضرا الولد من اجل مستقبل هذا الحاضر طمعا بسعادة بعيدة مزعومة لا يوجد بها مستقبل أبدا وهذا المستقبل لا يمكننا معرفته والتنبه به بشكل كبير بنسبة لديوي نظرا للتطورات والتفاوت التي تحدث فجاء وبدون تخطيط مسبق في مختلف المجالات التي قد تغير من موازين التفكير السائد يقول بأنه بظهور الديمقراطية والظروف الصناعية الحديثة لا يمكن أن نتنبأ بما ستكون عليه المدنية بعد 20 سنة وعلى هذا فمن المستحيل إعداد طفل حياه وظروف أحوال ليست معروفة وعلى وجه الدقة وليس معنى إعداد طفل المستقبل على ضبط نفسي والسيطرة عليها وتكوينها حتى يتمكن من استخدام جميع مواهبه وقواه.

¹ محمد لبيب النجيجي، مرجع سابق، ص 82 .

² المرجع نفسه، ص 90.

2- مبدأ التفاعل أو الفاعلية: تتضمن الخبرة التربوية جانبين الجانب الداخلي ويتكون من الظروف الداخلية للفرد والجانب الخارجي ويتكون من الظروف الخارجية للفرد والخبرة هي ثمره التفاعل بين الظروف الخارجية والنزاعات الداخلية ومن هذا التفاعل يحدث ما يسمى بالموقف وجوهره العمل على تعديل الظروف الخارجية بما يلائم حاجات الفرد وأهدافه.¹ وبذلك تلتزم كلمتي الموقف والتفاعل، ويتلقى مبدأ الاستمرار على مبدأ التفاعل في الخبرة التربوية ليتكون الجانب الطولي والجانب العرضي لهذه الخبرة فما مبدأ الاستمرار هو الجانب الطويل لهذه الخبرة على انه السلسلة متصلة مترابطة الحلقات أما التفاعل فهو الخبرة، لعرضي للخبرة الذي يحدد مدى عمق الخبرة التربوية وتأصلها في نفس الفرد وحاجاته ورغباته.²

وبناء على هذا المفهوم يتم التركيز على التفاعل بين المادة الدراسية وبين الفرد مما ينتج رغبة في متابعه التعليم و إلى لا فائدة ترجى إذا فقد طفلك تلك الرغبة:" وإلا فما قيمه تحصيلي قدر المفروض من المعلومات في الجغرافيا والتاريخ أو كسب القدرة على القراءة والكتابة إذا فقد نفسه أثناء هذه العملية (...). أو إذا فقد رغبة في تطبيق ما تعلمه واهم ذلك إذا فقد القدرة على الاستخلاص العبر من الخبرات التي تعرض لها في المستقبل وتصبح الخبرة على هذا الأساس مبدأ يؤدي وظيفة اجتماعية تجمع بين الفرد والمجتمع من دون أن تميل إلى طرف دون الآخر بحيث تعمل على حفظ الاتزان.

تقوم الخبرة داخل المدرسة على عاملين مهمين هما العمل والمعاناة فالعامل الأولى يجعلها فاعله الثاني إنها منفعة. والخبرة من ناحية الفاعلية هي المحاولة والتجربة من ناحية المنفعة هي معاناة هذه المحاولة في الطفل عندما يمر بموقف معين فانه يختبر هذا الموقف ويتفاعل معه إضافة إلى ذلك فانه سينتظر النتائج والآثار المترتبة على هذا العمل أين يحدث هناك تغيير في الفرد والمجتمع، ويدخل الذكاء عنصر أساسي في إدراك علاقتي بين العمل والمعاناة.

ومنه يجب أن تقود النهضة المدرسية إلى نقطة تصبح فيها المدرسة بحق مكانه للبحث والخبرة أين يجد طفل الفرصة الكافية لما يناسبه من تجارب وخبرات في مستوى كما يحصل العالم على خبراته بقدر ما يسمح به استعمال المعمل والمكتبة في مستواه الخاص، في هذا يقول "ديوي": "وما نحتاج إليه ليس فورا انقلابيه في النظام المدرسي وطرق التعليم، وإنما هو تنظيم للعوامل والعناصر الموجودة فعلا في المدرسة .

¹ شبل بدران، احمد فاروق، مرجع سابق، ص 277 .

² محمد لبيب النجاح، مرجع سابق، ص 91.

ومن هذه العوامل المتوفرة التي يمكن الاستفادة منها تتمثل على سبيل المثال في إخراج الطفل الهوائي الطلق وتوسيع وتنظيم خبرته بتوجيهه واتصالي بالبيئة التي يعيش فيها ودراسة الطبيعة وتبعها عن طريق الملاحظة الدقيقة مباشرة بدلا من دراستها في نماذج ليست بها أية حياة إضافة إلى الآلات والوسائل من اجل العمل الإنشائي القيام بالعديد من الأنشطة الفصلية كالحياكة والنسيج وعمل نماذج من الصلصال والطين ورسم الزخارف، إن أهم وظيفة طبيعية للطفل هي أن يعمل وينشط النشاط الطبيعي . وان يجري تجارب ويعرب بنفسه نتائجها . وان هذه الحقيقة قد تجاهلتها المدارس وعلى هذا اتجه نشاطا في له مخرجا في التخريب أو الخروج عن النظام .

لذلك، فان العقل حسب " ديوي" ولا يمكن أن ينضج إلا باستقراء الحقائق ، وكنتيجة لذلك ، فان التعليم المؤثر، الذي يترك طابعا في الشخصية والفكرة يظهر عندما يأتي الخريجون للإسهام في نشاط جمعية تضم الراشدين وتضع المبالغة في العمل ونتائج النجاح فيه . ويكون هذا نوع من التعليم في أحسن حالات وحيدة الطرف متحجبا انه يعمل ليخلق " العقل العملي" الأخصائي". غير انه عندما تصبح المواد التي لها صلة بحاجات الطفل وقوه ، والتي تزوده بما يحتاج إليه في بناء خبرته من جميع النواحي جزءا أهم من مكونات المدرسة يتغير الأمر حينها فبدا من أن يخضع العقل لمادة خارجية معدة ليصبح فعال و عاملا سلطان على المادة أثرا في تكوينها لان أهم ما يعني الطفل في أثناء قيامها بالتجارب والخبرات ليس هو الحقيقة العلمية التي يصل إليها القدرة على استعمال الأجهزة والآلات التي تتضمن مجهودا جسميا ونشاطا له قيمة تربويه.

في إطار الحديث عن المواد الدراسية التي تكون المنهج المتبع في التدريس يؤكد على وجود الارتباط والانسجام فيما بينها المنهج الدراسي قابليته للتغيير فهناك أنواع جديدة من الدراسات تظهر في الميدان التربوي وتطالب بمركزها في المنهج مثل التاريخ وعلم الاجتماع وعن السياسة والاقتصاد فكل العلوم عنده عبارة عن وحدة متناسقة لا يمكنها الفصل بين عناصرها: " فمجموعه العلم واحد وهي كائن روحي. فإلغاء العضو والجهاز الأخر يعتبر مستحيلا تمام الاستحالة وليست المسألة مسألة إلغاء جزء إنما هي مسألة تنظيم وليست مسألة تبسيط بالحذف والإلغاء وإنما إيجاد الوحدة والانسجام بين المواد والمعلومات.¹

وبالتالي يختفي انعزال الدراسات عن بعضها البعض كما تختفي أقسام النظام المدرسي تصبح للخبرة ناحية الجغرافيا وجوانبها المؤلفة بين الجانب الفني والأدب والعلم والتاريخ لتتشارك كلها في التكوين المعرفي للطفل وعليه فان جون ديوي و لا يرفض الاعتماد على الكتب والإفادة من المجالات شرط أن تساعد على اتساع الأفق العقل وإيقاظ الوعي حيال المشكلات العديدة التي تثير الاهتمام الظروف المعاصرة . " وإذا أصبحت كتب غاية في حد

¹ جون ديوي ، التربية في العصر الحديث ، مرجع سابق، ص 56 .

ذاتها فان عددا محدودا يقتصر فيها قليلا من أهل التخصص العالي . أما إذا كان هناك شعور حي بالاهتمام بالشؤون الاجتماعية فان كل ما يكون لدي هذا الشعور ستجده بطريقه طبيعیه إلى الكتب التي تثير الاهتمام ، كما يتجه إلى غيرها من الأشياء التي يشعر بحاجه إليها .¹

وعليه فقد اكتسب الطفل خبره في تلك المدرسة بالدرجة الأولى، فكانت بذلك مدرسة " ديوي " معملا حيث يصنع الأطفال أشياء ويشرعون بعد ذلك في أن يتعلموا الكثير عن طريق تجاربهم العملية تحت توجيه المدرس الذي يبحث عن معلومات إضافية في الكتب ، فهي معمل بدل من أن تكون حجرات دراسية لتدريس الكتب وتجييب عن الأسئلة التي يسألها المدرس، وبدلا أن يستاء التلميذ من مساعدة الأخر كما يحدث في المدارس الرسمية في الغالب عمل الأطفال سويا في أنشطتهم ، ولم تكن أنشطه المدرسة مهنيه بالمعنى الضيق إذا لم يتدرب الأطفال على حرفة معينة، بل ارشدوا إلى دراسة كل مجالات البحث التي ترتبط بحياة فعلية كما تدور في العالم حول التلاميذ على استمرار وجودها.²

¹ جون ديوي ، وإيفلين ديوي، مدارس المستقبل، ترجمة، عبد الفتاح المنياوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1962 م، ص 277.

² ويليام كلي رايت ، مرجع سابق، ص 511.

المبحث الثاني: التربية العملية عند ديوي

المطلب الأول: المدرسة عند جون ديوي

كان "جون ديوي" علما بارزا في ميدان التربية يدعو إلى الإصلاح والتجديد من أجل مواكبة التقدم الذي حدث بفعل تطور العلم وارتقاء الديمقراطية لبلوغ المعارف والنظريات التي تحرر الإنسان من سلطان الميتافيزيقا وتجدد الحياة وتوجهها¹، والتجديد الذي يريده لا يختلف عن ذلك الذي أدى إلى التطور العلمي والتقدم الصناعي، فهو ليس صيغا جاهزة تُفرض على الناس أو ينكشف دفعة واحدة بل هو محصلة التفاعل بين الكائن وبيئته ويتضمن الوعي بالعلاقات التي تربط الأشياء بعضها ببعض في كل وسط توجد فيه، هذا التفاعل الحيوي والمستمر هو التجديد في حد ذاته، فالتجديد يهدف إلى ربط التربية بالعمل والتجربة بالوسائل الموجهة للبحث في مختلف شؤون الحياة الاجتماعية والأخلاقية كما يتخذ من العقل وسيلة للتجديد عن طريق الوعي بأحوال الحياة المختلفة، وفي هذا يقول: "إن التجديد عمل عقلي محض يتطلب أكبر قسط من الدراسة العلمية"² وفي دعوته هذه تظهر ملامح توجهه الفلسفي في التربية، فهو يهدف إلى بناء تصور تربوي جديد يرتكز على مرجعية فلسفية ونظرية مساية للتقدم العلمي.

ذلك هو التجديد الذي أراده "ديوي"، يعبر عن اهتمامه بتنمية الفرد وجعله أساسا لكل تطور اجتماعي؛ فالمتعلم هو مركز التجديد ومحور التربية التقدمية، والتقدمية عنده تتجاوز الثبات وتنبذ الجمود وترحب بالتغير وتدعو إلى تطوير الطبيعة الإنسانية. تلك هي الدعائم التي أراد بها "جون ديوي" بناء معالم التربية التقدمية لبلوغ المجتمع الديمقراطي الذي يتسم بالمشاركة الفعلية لأفراده في بنائه وتسوده الحرية ولا يكون ذلك ممكنا إلا بالنمو المستمر والمتجدد. حيث آمن "ديوي" بأن التربية الديمقراطية هي الكفيلة بتحقيق ذلك، فهي تساعد على تحرير الفرد في ميولاته واهتماماته وقدراته، وبهذا تجاوز الرؤية المحافظة التي تدعو بجديد هو مادي ومعنوي كتجديد مناهج التفكير وطرق التعليم إلى الالتزام بالتعليم التقليدي؛ وسعى إلى وضع نظام تربوي جديد في الولايات المتحدة الأمريكية يمثل المرجعية الأساسية عند رجال التربية المعاصرين. ولكي نوضح تلك المعالم الجديدة عنده يجب إمعان النظر في فكره التربوي والذي يشمل رؤيته الجديدة للطبيعة الإنسانية والحياة والأهداف التربوية.

¹ جون ديوي، تجديد في الفلسفة، مرجع سابق، ص 119.

² المرجع نفسه، ص 48.

يبدو من خلال المعالم التربوية لفلسفة التربية التقدمية أن التجديد في الفكر التربوي وفي وسائل التربية عموماً بات ضرورة ملحة اشتغل به "جون ديوي" ومن عمل بمشروعه من بعده، ذلك أن التربية كأداة فعالة لتغيير المجتمع وتطويره تنهل من هذا التجديد وتستلهم من منطلقاته ومبادئه ومعالمه.

في هذا السياق لزم الحديث عن التجديد في أهم وسيلة تربوية وهي المدرسة حيث ينعكس ذلك على الموضوعات والأنشطة التربوية التي تحتويها، وكذا المناهج وطرق التدريس المعتمدة فيها. وعليه فالمدرسة في تصوره هي أساس التحول البيداغوجي لأنها مخبر فعالية الأفكار التربوية وهي الوسط القادر على إنتاج الفرد المعاصر والديمقراطي، ومن هنا يمكن عرض وجهة نظر التربية التقدمية من المدرسة فيما يلي:

1- مفهوم المدرسة عند ديوي:

لما كانت التربية في تصور "جون ديوي" تمثل الحياة التي تُسخر فيها كل العوامل على تربية الطفل وتسمح له بالاشتراك الجماعي وتجعله قادراً على أن يساهم في المجتمع عن طريق مواهبه وقواه، وبما أن المدرسة هي الجزء المصغر لتلك الحياة الاجتماعية يكتسب فيها الطفل الخبرة والقيم الخلقية عن طريق مشاركته في المجتمع، فإن التجديد في المدرسة يهدف إلى جعلها صورة للحياة الاجتماعية، ولهذا نادى "ديوي" بالمدرسة التي تلائم المجتمع والتي أصبحت في ظل التربية الجديدة تمثل مؤسسة اجتماعية تشبه في واقعيتها وأهميتها حياة الطفل في المنزل أو البيئة المجاورة له أو الفناء الذي يلعب فيه.

يرى "جون ديوي" بأن المعنى اللغوي لكلمة "مدرسة" يشير إلى أنها تدل على التغيير الذي حدث فيها وفي هذا يقول: "إن الكلمة الإغريقية التي اشتقت منها كلمة) مدرسة (في اللغة الإنجليزية، معناها خلو من العمل، أو فراغ. وهذه الحقيقة توحى لنا بطبيعة التغيير الذي حدث¹". ويرجع سبب استمداد مفهومها إلى فكرة الفراغ هو أن الناس قديماً نادوا بالفصل بين فصول الترفيه أو الفراغ، وفصول العمل وكان التعليم يهدف إلى تحقيق النوع الأول أي فصول الفراغ لأن ما ارتبط بالتعليم في ذلك الوقت كان يخص الأثرياء ولم يكن لهم دافعا إلى العمل²، غير أن هذا الفهم تغير - رغم ماله من تأثير في بروز التعليم النظري الذي يعتمد على الكتب - وأصبح مفهوم المدرسة أكثر توسعا خاصة لما بدت الحاجة الضرورية للتربية في سبيل العمل وأضحت صورة للحياة الاجتماعية تزخر بالأنشطة التي يسعى الفرد لتعلمها لتساعده في حياته المنزلية والزراعية والتجارية والصناعية وحتى السياسية.

¹ جون ديوي وإيفلين ديوي، مدارس المستقبل، مرجع سابق، ص 266 .

² المرجع نفسه، ص 267 .

إن التنظيم الجديد في المدرسة لا ينحصر في الجوانب الخارجية رغم أهميتها اليوم وإنما يكون في تنظيمها باعتبارها مجتمعا مصغرا حتى لا تكون منعزلة عن المجتمع. والتاريخ يظهر لنا أقساما متعددة من أنظمة المدارس يحددها "ديوي" في ثمانية أقسام ضمن أزمنة مختلفة، ففي العصور الوسطى ظهرت المدارس المختصة بالقانون واللاهوت، والجامعات اليوم هي امتداد لتلك المدارس من تلك الحقبة الزمنية لكنها بعيدة عن تقاليد القرون الوسطى في التعلم.

كما كانت روضة الأطفال التي عرفها القرن الثامن عشر عبارة عن اتحاد بين دور الحضانة التي تقوم على الألعاب التي تجربها الأم مع أولادها وفلسفة "شيلينج" المثالية الكثيرة الرموز والخيال، فكانت تلك الفلسفة عائقا لربط المدرسة بالحياة الاجتماعية حيث فصلت الروضة على المدرسة نظرا للاختلاف في الأغراض لدرجة الصعوبة في الربط بينهما على اعتبار أن منشأهما ليس واحدا¹. أما القرن التاسع عشر فأتت مدارس فنية ومدارس فالأولى جاءت تبعا للظروف التجارية التي (Normal Schools) أخرى لإعداد المعلمين عرفها ذلك القرن في حين كانت الثانية للتمرين المهني والفني والتثقيف العقلي.²

من هنا يظهر سبب تأخر المدرسة على أداء الدور المنوط بها والمتمثل في الفصل بين الأقسام المختلفة من أنظمة المدارس والذي لا يزال مستمرا. ف"جون ديوي" يؤمن بأن الطريق الوحيد لتوحيد الأقسام المدرسية هو أن تُقرن بمجالات الحياة الاجتماعية من دون إعداد الأطفال لأنواع معينة من الحرف والمهن بل لإنشاء علاقة تفاعلية بين المتعلمين وما يحيط بهم، وتعمل المدرسة على الحفاظ على هذه الرابطة. أما فيما يخص العلاقات التجارية فإن المدرسة تعلم الطفل الحساب التجاري بتقريبه من محيطه ليتعرف على المصارف وكيفية عملها فيتعامل مع العمليات الحسابية على أساس الواقع التجاري القائم على الربح والخسارة، (وحيثما يكون تعلم الأعمال الحسابية معنى راق بالنظر لارتباطها بما يثير اهتمام الأطفال³).

وأما عن علاقة المدرسة بالجامعة فتتجلى في نظر "جون ديوي" من خلال ربط الأقسام الدنيا بالعليا، ويعيب على المواد الدراسية في مراحل التعليم الأولى في عدم مراعاة ما ينتظر المتعلمين في حياتهم. ويتحقق ربط المدرسة بالجامعة باكتساب التلميذ فيروح البحث منذ بداية تعلمه وهذا بالوقوف على الحقائق التي تثيره في واقعه؛

¹ جون ديوي، المدرسة والاجتماع، ترجمة ديمتري قندلفت، مطبعة المعارف، القاهرة، 1928 م، ص 95 .

² المرجع نفسه، ص 97 .

³ المرجع نفسه، ص 104 .

ثم يتم إشراك القسم الأعلى في البحث كما هو الحال في الجامعة¹. بهذا أصبحت المدارس تقوم على توثيق الصلة بينها وبين المجتمع لأن ذلك لا يجعل العمل المدرسي خصبا فقط بل يزيد من خدمة المجتمع والبيئة

فعلى سبيل المثال: يبذل التلاميذ الذين يدرسون التربية الوطنية جهودا في تحسين ظروف مجتمعهم فيؤثرون في مجريات الحياة على العكس من ذلك حينما تكون دراستهم للتربية الوطنية من كتب مقررة تحمل حقائق مجردة لغياب مجال التطبيق الذي يربط مباشرة اهتمام التلميذ بمحيطه.²

2- المدرسة المجتمع ومهامها:

فالمدرسة في التربية التقدمية مؤسسة اجتماعية تمثل استمرار للحياة المنزلية التي تعود عليها الطفل وألفها إذ تعمل على تجسيدها حتى يقوم بها ويأخذ نصيبه فيها³، فهي جزء من الحياة الواقعية تمثل جميع النظم الاجتماعية بقدر الإمكان التي يشيع فيها النشاط والحركة ويجيا فيها الأطفال حياة اجتماعية إذ تحاول⁴. والحاجة إلى جعل الحياة المدرسية حياة اجتماعية خالصة هي روح الإصلاح الاجتماعي الذي تبناه "ديوي" الذي يتجسد في تغيير شكل المؤسسات التربوية ومهامها وغاياتها بحيث يصبح النظام التعليمي ينبعث من الحياة المدرسية في صورتها الجديدة ليتسنى للتربية تجاوز مهام المدرسة التقليدية القائمة على إعداد المتعلمين للحياة المستقبلية بالاعتماد على المربي دون العناية بميولاتهم واهتماماتهم ونشاطاتهم الذاتية فهي عبارة عن بناء فيه فصول دراسية تحوي التلاميذ ليتلقوا ما يملئهم المعلمون، فكانت. (المدرسة مكانا مهينا للاستماع ولم تكن معملا يعمل فيه الطفل بنشاط.

5

لقد جعل "جون ديوي" المدرسة مجتمعا مصغرا يعكس كل المظاهر الاجتماعية والأخلاقية والسياسية يتفاعل أفرادها مع ظروفها والتي لا تختلف عما يوجد خارجها أي "مجتمعا مصغرا متفاعلا مع ضروب الخبرة الاجتماعية خارج جدران المدرسة"⁶ ومتى أمكن ذلك كانت فرصة بلوغ المجتمع الديمقراطي كبيرة وفي هذا يقول "ومتى ربت المدرسة كل ولد من الأمة على مبدأ اجتماعي وأدخلته في عضوية جمعيتها الصغيرة، مجهزا بعدد من التدبير الذاتي الفعال فحينئذ نحرر الضمان الأقوى للحصول على هيئة اجتماعية خليقة بالحب والاحترام متناسبة

¹ جون ديوي، المدرسة والاجتماع، المرجع سابق، ص 106.

² جون ديوي وإيفلين ديوي، مدارس المستقبل، مرجع سابق، ص 246.

³ جون ديوي، التربية في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 20.

⁴ عبد المجيد عبد الرحيم، التربية والحضارة، مكتبة النهضة المصرية، 1966، ص 175.

⁵ أحمد فؤاد الأهواني، مرجع سابق، ص 47.

⁶ جون ديوي، الديمقراطية والتربية، مرجع سابق، ص 368.

الأعضاء متلائمة الأجزاء تسطع فيها أنوار البهاء" ¹ كما رغب في توسيع نشاط المتعلم فيها ليكون أساس كل عمل تربوي.

وتظهر هنا المقاربة بين التجديد التربوي والتغير الجديد في الحياة وأصبحت نجاعة التربية تقاس بمدى استجابة المؤسسات التعليمية وفي مقدمتها المدرسة للمتطلبات الاجتماعية المتنوعة للمتعلمين بالشكل الذي يضمن لهم الاندماج الاجتماعي بصورة آية، وبهذا كانت المدرسة عنده "مركز إشعاع لكل القيم والأغراض التي تسعى إليها كل جماعة ويمكن أن ننظر إلى مناهجها .(وأهدافها باعتبارها بشائر لمصير المجتمع". ²

فالمدرسة في التربية التقدمية تتضمن جميع شروط الممارسة التربوية الجديدة بجعل الطفل محورا للعمل التربوي وتوفير الوسائل التي تقرب نشاطه من واقعه الاجتماعي، ف"مدرسة شيكاغو" والتي افتتحت عام 1892 م على يد "ديوي" وبعض المدرسين من أمثال "هربرت ميد" و"مورتوفيتس" تجمع بين النظرية والتطبيق، على اعتبار أن الأفكار في نظر "ديوي" خطة عمل³ والجمع هو بغرض تفعيل دور المدرسة في تمثيلها للمجتمع في حياته ونشاطه، وهذا ما وصفه المفكر العربي "زكي نجيب محمود" للمدرسة التقدمية لما اعتبر أن عملها الاجتماعي ينطلق. في حياته ونشاطه من اعتبار تلاميذها مجتمعا مصغرا يشبه المجتمع الكبير. وكان أسف "جون ديوي" كبير لما آلت إليه المدارس التي كانت في عزلة عن التحولات الاجتماعية وبعيدة عن شؤون الحياة اليومية للمتعلمين وأصبحت ترهقهم أكثر مما تربهم حيث يقول بشأها (...): "حتى بلغ من أمرها أن المكان الذي ترسل إليه الأولاد قصد التربية الحيوية والتنشئة على العمل هو المكان الوحيد الذي يتعذر فيه كل التعذر تحصيل الاختبار⁴"، واقتضت نزعتة البراغماتية والعملية دعوته إلى التعلم بالعمل واللعب الذي يرتبط فيه المعمل بالمنزل حيث كانت (Learning by doing and playing) في زمن مضى العائلة الواحدة مركزا لصنع جميع ما يحتاجونه، وكان أفرادها يحملون مهارات كالغزل أو زج الصوف أو صناعة الأواني وغيرها، كما كان الأطفال حينما يبلغون (قوة من البدن والذهن يربون ويدربون وسط العمل.⁵

هذا، ويقدم لنا "جون ديوي" بعض المدارس التي يعتبرها كنماذج للمؤسسات الاجتماعية والتي تعمل على تكريس المواطنة والروح الديمقراطية وتواكب التقدم العلمي وتعتمد على التعليم بالعمل وتنتهج طرق جديدة

¹ جون ديوي، المدرسة والاجتماع، المرجع سابق، ص 52 .

² دافيد ومارسيل، فلسفة التقدم، ترجمة، خالد المنصوري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1974، ص 164 .

³ Gaston Berger, *L'Home moderne et son Education*, Presses Universitaire de France, paris, 2ème édition, 1967, P61.

⁴ جون ديوي، المدرسة والاجتماع، مرجع سابق، ص 36 .

⁵ جون ديوي، المدرسة والاجتماع، مرجع سابق، ص 26 .

كطريقة المشروع وتقدر دور الأنشطة المهنية واليدوية، فعمل أصحابها على تقديم كل ما لديهم من مساعدات في سبيل ذلك.

يمكن أن نخلص إلى أن المدرسة في التربية التقدمية تمثل مجتمعا يجد فيه المتعلم كل ما يرتبط بحياته لا مكانا يتلقى فيه الدروس بصور ذهنية خيالية، فهي الصورة المصغرة للمجتمع تسعى إلى تنشئة الجيل الذي يواكب الحياة المتغيرة و في كل زمان ومكان . ونشير إلى أن " جون ديوي " يرد على أولئك الذين اعتبروا توجهه في تجديد المدرسة توجهها ماديا نفعيا حيث أكد على أن طبيعة الحياة الراهنة تقتضي ذلك لأن كل شيء اليوم له عمله ومهنته لكن الأهم هو إدراك المغزى الإنساني من كل عمل يؤديه الإنسان.

إن رغبة " ديوي " في تحويل المدرسة إلى بيئة تحوي نشاط التلميذ انطلاقا من ميولات الأطفال وطبائعهم ومقوماتهم الشخصية، هو شعار المدرسة الجديدة والذي يعد ثورة على المدرسة التقليدية التي فشلت في خلق المجتمع المتطور .وعليه فإصلاح المدرسة يقوم (على ربطها بالحياة الاجتماعية لتصبح مركزا لتجديد المجتمع بما يسهم في التقدم لأبنائه¹.

3- المنهج التربوي في المدرسة التقدمية:

لقد بين لنا " جون ديوي " مهمة المدرسة التقدمية متجاوزا بذلك العيوب التربوية التي أنتجتها المدرسة التقليدية في موضوعاتها وطرائقها المنتهجة، نظرا لانشغال رجال التربية في ذلك الوقت بصقل عقول الأطفال بالتراث الثقافي والمعارف، حيث كان المنهج فيها مرتبطا بتنظيم الموضوعات التي تتميز من صف إلى آخر لتلقين التلاميذ ما تحمله الكتب المقررة استعدادا للامتحانات في آخر العام وفي كل صف، حيث يسترجع المتعلمون ما تم تثبيته من معلومات رغبة في الحصول على الدرجة والتفوق الذي يؤدي بهم إلى الانتقال إلى الصف الأعلى وال فشل في ذلك يؤدي إلى الرسوب، فالمنهج التقليدي في تصوره لا يهتم بحاجات التلاميذ وميولاتهم، إذ بني على تصور الهدف التربوي بأنه التدريب العقلي فهو يقوم على المعرفة الذهنية المجردة²، لهذا الأساس حصر " ديوي " عيوبه فيما يلي:

- ما يقدمه المنهج في التربية التقليدية يرتبط بالناحية العقلية فقط من نمو التلميذ في حين أن النمو في المتعلم يرتبط بالنواحي النفسية والاجتماعية والجسمية والعقلية.

¹ Ludwig Marcuse, *La Philosophie Américaine*, Traduit de L'allmande par Daniel Boher, Edition Gallimard, 1967, P253.

² محروس سيد مرسي، مرجع سابق، ص 227 .

- إهماله لتنظيم سلوك المتعلم لأن حشو العقل بالمعارف لا يعني تنظيم سلوك في الحياة.

- ضعف اهتمامه بالجانب العملي، في حين أن التربية هي أنشطة عملية وليست موضوعات إنشائية.

- يقيد مهمة المربي من خلال العمل على تنفيذ المقرر طبقا لقواعد الحفظ والتسميع (وبالتالي لا يستطيع أن يبدع في تحرير أنشطة المتعلمين بما يسمح لهم من الابتكار¹.

من هذا المنطلق، حاول " جون ديوي " إعادة تدبر الأهداف التربوية بتحديد طبيعة الموضوعات الدراسية التي تستطيع رسم معالم المنهج التربوي السليم طالما أن هذه الأهداف كما يتصورها تتميز بالمرونة والنسبية ونابعة من الواقع الراهن بحيث يمكنها المساهمة في تطور المتعلم وزيادة من نموه . فالبراغماتية في التربية تنظر للمتعلم على أنه كائن حي يتفاعل مع بيئته فيكتسب خبرات متنوعة تساهم في تغيير سلوكه والخبرة الناتجة عن هذا التفاعل المستمر تساعد الفرد على تحقيق كيانه الاجتماعي، كما تحقق. (كيانه الفردي لأن التفاعل يقوم على الميول الفردية نحو البيئة الخارجية²

بناء على ما سبق، بات التفكير في تحديد المنهج التربوي ضرورة تقتضيها الحياة الراهنة بحكم تغيرها باستمرار، فالأهداف التربوية تتنوع ولا تقف على جانب واحد في تربية الطفل عكس ما كان الحال عليه في المنهج التقليدي الذي يهتم بالجانب الذهني للمتعلم؛ ولهذا يجب الكشف على كل جوانبه وتنميتها . فالمنهج الجديد يتجاوز التحصيل المعرفي إلى تنمية الجانب الجسمي والوجداني والخلقي والاجتماعي، وهو المنهج الذي يهتم بالطفل حتى يستجيب للتعلم من خلال الأنشطة وما تحتويه الموضوعات الدراسية.

إذا كان المنهج في معناه الدقيق هو مجموعة من الإجراءات والطرق الدقيقة المتبناة من أجل الوصول إلى نتيجة وهو أيضا مجموع الخبرات التربوية والثقافية والاجتماعية التي تهيئها المدرسة لتلاميذها في الداخل والخارج قصد مساعدتهم على النمو الشامل (في جميع النواحي وتعديل سلوكهم طبقا لأهدافها التربوية وهذا في معناه الواسع³.

فإن أساس المنهج التربوي الجديد هو الخبرة التي ترتبط بما يكسبه من المواقف المتغيرة التي يواجهها في حياته . فكل ما يمر بخبرة التلميذ هو جزء من المنهج، ذلك أن الحياة الاجتماعية للطفل هي الأساس لجميع جهوده

¹ كوثر عبد الرحيم، شهاب الشريف، مرجع سابق، ص45.

² محروس سيد مرسي، مرجع سابق، ص 228 .

³ كوثر عبد الرحيم، شهاب الشريف، مرجع سابق، ص48 .

وبالتالي يجب إضفاء الوعي الاجتماعي على المنهج الدراسي وكذا مراعاة التقدم العلمي¹. فالخبرة التي تمثل المبدأ الأساسي في المنهج التربوي هي تلك التي تقوم على تنظيم الظروف والموضوعات تنظيماً علمياً، أي وفق ما يقتضيه المنهج العملي وذلك بما يعود بالنفع على المتعلمين؛ الأمر الذي جعل "ديوي" يسميها بالمداولة الفكرية أو الخبرة التفكيرية ويضع لها صفات ومميزات تجعل منها أساساً للمنهج التربوي الجديد.

3-1 الخبرة التفكيرية أساس المنهج التربوي:

ليس غريباً أن يجعل "ديوي" من الخبرة أساس كل تصوراته الفكرية بما فيها تصوره للمنهج التربوي الجيد، فهي دليل على سلامة المنهج وصحته، والخبرة التي يقصدها هي الخبرة التفكيرية القائمة على الدقة والتي استلهمها من خلال تجاوزه المفاهيم الخاطئة عنها والتي ارتبطت بها قديماً وحديثاً فهي لا تقف على الجانب النظري بل تتعداه إلى الجانب التطبيقي². والخبرة التفكيرية ليست هي التجربة المخبرية كما عرفها التجريبيون ولا التجربة المعقولة مثل ما عبر عنها "كانط" وإنما هي تجربة تقوم. (على الفكر والنشاط العملي معا حيث تعبر عن الفكر تعبيراً واقعياً في نجاحه أو فشله.³

ففي تأكيده هذا يظهر ربطه الصريح بين ما يفكر فيه الإنسان وما ينجر عن أفعاله من نتائج، حيث يبرز أهمية التفكير وسط الظروف المتجددة لأن الخبرة المكتسبة لا تكفي وحدها في مواجهة المواقف الجديدة فكل موقف جديد ينطوي على مشكلة تقتضي تفكيراً جديداً ومتميزاً. لذا ينبغي ربط الخبرة بالتخطيط العلمي الدقيق وعلى هذا الأساس يدعو "ديوي" إلى بناء الموضوعات الدراسية معتمداً على الخبرة من جهة والأسلوب العلمي من جهة أخرى.

تظهر ملامح الخبرة التفكيرية على ضوء هذا الربط بين التفكير والمنهج، وتتجلى مهمتها التربوية فهي تقوم على تنظيم الأفكار وما ينتج عنها من تصورات وظيفية. وإذا ما أستطاع المرء وضعها موضع التنفيذ في ميدانه التربوي مع الناشئين أحدثت نتائج جديدة، لأنه في هذه الحالة يكون قد تحلى بالموضوعية العلمية والتي هي سر التقدم الذي حصل في الميادين الأخرى. ذلك أن المنهج العلمي يكون دائماً فعالاً بقدر ما يساعد على تغيير الظروف التي يوجد فيها الإنسان؛ تلك الفعالية التي أبان عليها العلم جعلت "ديوي" يدعو إلى ربط الخبرة بالأسلوب العلمي ويجعل منها ما منهجاً تربوياً علمياً وفق ما أسماه بالخبرة التفكيرية أو المداولة الفكرية.

¹ محروس سيد مرسي، مرجع سابق، ص 229.

² محمد جديدي، مرجع سابق، ص 210.

³ يحي هويدي، مرجع سابق، ص 134.

ودعوة" ديوي "إلى تطبيق نتائج العلم في المناهج التربوية هو جزء من إعجابه بما قدمته العلوم في عصره من جهة وتعبيرا عن إيمانه العميق بأن التربية هي وسيلة لمواجهة التغيرات الحاصلة في الحياة الاجتماعية وفي هذا يقول : "ولذلك ينبغي كلما بحثنا في المسائل والأمور الاجتماعية والأخلاقية إنما نودع الأمل في هداية المعرفة الحقيقية، وإما أن نستعير سلطة علمية على حساب الأمور الإنسانية .¹ فبلوغ التطور في القضايا الاجتماعية والإنسانية يقتضي الأخذ بنتائج العلوم ومناهجها، وهو هنا يدافع عما دعا إليه ليس بغرض الوصول إلى نتائج يقينية وثابتة كما يعتقد أصحاب المذهب التجريبي بل لتحقيق النجاح والتلاؤم مع متغيرات الواقع.

على هذا النحو تكون الخبرة التفكيرية قد رفعت عن المنهج التربوي الجمود الذي عرفه مع التربية التقليدية، من خلال تجاوزها للتصور الذي كان يعتبر المنهج مادة محددة بين مقررات الكتب الدراسية وانتقالها إلى التصور الذي يجعل منه متميزا بالنشاط الذي يسعى إلى خلق التفاعل بين المتعلم وموضوعاته، حيث يبرز في المنهج الجانب الأول ويمثل المتعلم والجانب الثاني ويمثل الجماعة المحيطة به وكل الموضوعات والأنشطة التي يتفاعل معها وبهذين الجانبين ينمو المتعلم في قدراته الفردية والاجتماعية . وتأخذ الخبرة التفكيرية معنى متميزا لأنها تعبر على فعالية الذكاء وتتيح للمربي العمل في ظل أهداف يضعها نصب عينيه ومن الواقع.

فإذا كان الطفل المتعلم ينطلق في بناء أحكامه باستخدامه العلاقة التي يتمثلها بين الأشياء كأن يتخذ من الشيء دليلا على شيء آخر وينشئ العلاقة بينهما، فإن المربي الناجح هو الذي يلاحظ ذلك على نحو أدق فيختار الأشياء بعد تدبر عواقبها لتوسيع فكر المتعلم وتنميته على الاستدلال السليم؛ أي أنه يستعين بما يحمله من خبرات ويستثمرها بدقة بما يكسب المتعلم تلك الخبرة وذلك الذكاء، إذ لا يمكن أن يسعى المربي إلى تربية الأطفال على الذكاء أو التدبر الصحيح وهو لا يمكنه فعل ذلك، ولهذا فالخبرة التفكيرية هي معيار نجاح المربين أنفسهم.

إن التأمل في الخبرة التفكيرية كأسلوب تربوي متميز يظهر أنها تنطلق من النظرة المتمعنة لسلوكات المتعلمين وتوقع ما ستفضي إليه من نتائج، فهو كأسلوب ومنهج تنطلق من الوعي الاجتماعي وما يحمله المربي من خبرات بحيث يعمل على توظيفها بما يسمح للمتعلم من المشاركة الفعلية في المواقف الراهنة، حتى يستطيع هو نفسه تدبر تأثيراتها بناء على ما يتوفر لدى المربي من حقائق، مما يثبت دون أدنى شك أن الخبرة التفكيرية تعتمد على المنهج التجريبي في خطواته الشهيرة الملاحظة والفرضية والتحقق . إن تلك النظرة التي ينطلق منها المربي تمثل التبصر الموضوعي لسلوكات الأطفال وهي بذلك تقابل الملاحظة العلمية في المنهج التجريبي، في حين أن تدبر النتائج والعمل على إقحام المتعلم في المواقف الجديدة يقابل بقية الخطوات الأخرى وهي الفرضية والتجريب وهي بطبيعة

¹ جون ديوي، البحث عن اليقين، مرجع سابق، ص 223 .

الحال خطوات كل بحث علمي ناجح، وهذا ما عبر عنه "ديوي" بقوله: "فالتفكير إذا عملية بحث وتحقيق وفحص للأشياء."¹

إن الخبرة التفكيرية تمثل أفضل أن تقول آلية يتخذها المرء للانتقال من نطاق الفكر إلى نطاق العمل أين يمكنه وضع الناشئة أمام المشكلات وإعطائهم البدائل التي تمكنهم من حلها حتى ينمو بالتدرج وينمو معهم الشعور بالمسؤولية ويساهمون في تطوير الحياة الاجتماعية. ومن المفيد هنا أن نجمل مميزات ما يسميه "ديوي" الخبرة التفكيرية فيما يلي:

- التفكير المرتبط بالخبرة أداة للتعلم والتطور والتقدم وحل المشكلات.
- التفكير باعتباره ضرب من السلوك ومرحلة من مراحل المستمرة يكون موجهًا (للتجريب وجاعلاً منه نشاطاً منظماً بأفكار تتلاءم مع الظروف التي تثيرها المشكلة.
- الخبرة التفكيرية باعتبارها وسيلة ليست مستقلة عن مشكلات الحياة بل وثيقة الصلة (بظروفها، إذ أنها تساهم في استحداث مواقف جديدة وتزيل عنها الصعوبات .

3-2 الذكاء منهج أداتي:

يبدو مما سبق ذكره، أن المداولة الفكرية التي تجمع بين التفكير العقلي والتدقيق العلمي تنطوي على أداة فعالة والتي تتمثل من دون شك في " التوجيه البصير" الذي يحدد علاقات التابع عن طريق الملاحظة ويفترض الخطط ثم يقوم، الذي يساهم في الوصول بتنفيذها، ذلك هو الذكاء أو العقل البصير إلى نتائج علمية. وبالتالي فالخبرة التفكيرية كما يتصورها "جون ديوي" تبرز تأثيره الكبير بالتقدم الذي أحرزه العلم في شتى ميادين الحياة، حيث جعل منها أداة للإصلاح التربوي بعد ما بدأ بالتجديد في الخبرة ذاتها، وهنا يتفق مع " جيمس " في أن ألوان التجديد تنشأ " داخل الخبرة التي تقتضي مراجعة الحقائق بصورة مستمرة وإعادة بنائها".²

ليس من شك أن تكون الخبرة التفكيرية متجددة لأنها تعبر عن التفاعل الوظيفي بين الفكر والواقع من جهة وتميز المحيط بالتغير المستمر من جهة أخرى، إذ تقتضي توجيهها متبصراً، أي التوجه الذي ينظم مجريات التجربة ويبعد عنها العشوائية طالما أن الخبرة عند "ديوي" هي ضرب من التجريب المستمر والدينامكي، وسوف

¹ جون ديوي، الديمقراطية والتربية، مرجع سابق، ص 154 .

² وليام كلي رايت، مرجع سابق، ص 515 .

يظل وجود التوجيه المتبصر في التجربة ضروري لتكوين المواقف الجديدة، وهذه العملية تتم عن طريق الذكاء أو العقل البصير الذي يمثل الأداة الفعالة في الخبرة التفكيرية.

إن استخدام "ديوي" للفظ الذكاء لم يكن استخداما كلاسيكيا بل أبرزه في تصور جديد يثبت انقلابه على الاصطلاح الكانطي من جهة وقربه من التصور العلمي من جهة أخرى، فلم يعد الذكاء معه هو العقل الخالص مثلما اعتقد "كانط" بل ينظر إليه بنظرة جديدة عبر عنه في قوله: "رمز مختصر نشير به إلى طرائق عظيمة لا تنفك عن النمو وأعني بها طرائق الملاحظة والتجريب والتفكير البرهاني والتي قلبت في وقت جد وجيز ظروف (الحياة الفيزيائية) المادية".¹

معنى هذا أن الاعتقاد بوجود الذكاء كقوة خفية بالنسبة للعقل يجعله بعيدا عن الواقع والطبيعة؛ في حين أنه معطى طبيعي يكتسب قوته الفكرية باستمرارية التفاعل مع قوى الطبيعة الأخرى، هذا الذي جعل "ديوي" لا يجد حرجا في القول بأن العلم قد جعل من العقل ظاهرة طبيعية أو ما يسميه بتطبيع الذكاء. فليس الذكي في تصور "ديوي" من يمتلك العقل وإنما هو من يشارك عقله مع الأشياء ويتفاعل معها؛ فهو التوجيه البصير للبحث التجريبي الذي يفضي إلى معارف علمية حيث يتكامل الذكاء مع النشاط العملي فيؤدي إلى تعديل الظروف وتغييرها بما يحافظ على تكيف الفرد مع بيئته ويضمن نموه المستمر، فإمكانية التحسين في الظروف والطبيعة البشرية إنما يحدث بفعل التعديل في الأشياء، واستخدام الذكاء كمنهج في الشؤون التربوية يساهم في الارتقاء إلى ما بلغت العلوم التجريبية لأن التقدم الحاصل في دراسة الظواهر الطبيعية يمكن تعميمه على الظواهر الإنسانية والتي تختلف عنها في طبيعتها. وأما النتائج فيعتقد "ديوي" أنها تبقى نسبية بحكم تغير جميع الظواهر في الحياة وباستمرار.

فالذكاء كمنهج تربوي مرتبط باختيار الوسائل وكيفية تنظيمها في سبيل تحقيق الأهداف المنشودة من كل نشاط تربوي، فهو يعبر عن الطرق التي تكشف حلول المشكلات، كما يساعد المعلمين على تنمية خبراتهم. وبهذا فهو ينطوي على مهام عملية في التربية بصورة خاصة وفي الشؤون الإنسانية عامة، والتي يمكن إبرازها فيما يلي:

- الذكاء يضع الخطط والمقترحات ويخضعها لمحك الخبرة والتي تتخذ من المنهج العلمي أداة لتبريرها.

- هو التوجيه الذي يصنع الأفكار ويغيرها ويصححها تبعا لتغير الظروف.

¹جون ديوي، تجديد في الفلسفة، مرجع سابق، ص 14.

- ما يضعه من خطط وأفكار ليس مطلقة ولا ثابتة بل هي مجرد فروض تطبق عمليا.

- ما يميز هذا المنهج هو طابعه الاجتماعي إذ يهدف إلى تغيير المفارقات الاجتماعية.

تبعاً لمهمة الذكاء التربوية التي تجعل منه منهجاً وغاية في التربية التقدمية، جعل "ديوي" من وظيفة هاتاه الأخيرة تنمية ذكاء المتعلمين بتوفير الوسائل الكفيلة بتربية الطفل وتنميته داخل الخبرة حيث يتم وضعه مباشرة أمام المشكلات والمواقف وتسخر له الوسائل التي تكون في حدود متناوله لتلك المشكلات من أجل التكيف معها. من هنا جاء تصوره للمنهج التربوي الجديد على صورة المنهج التجريبي بخطواته المعروفة "الملاحظة الفرضية والتجريب" وهذا ما يثبت تأثره بما قدمه العلم. واهتمامه بالعلم في التربية التقدمية هو الذي مكّنه من إخراج المنهج التربوي من نسقه التقليدي الذي يعتمد على تنمية الطفل من نواحي ضيقة واتجه به إلى النسق العلمي عن طريق التدبر البصير في رسم الأهداف التربوية الصالحة التي تتماشى مع ميولات المتعلم وقدراته؛ وجعله هو مدار كل عملية تربوية.

مما زاد في حجم رغبة "ديوي" في حمل المنهج التربوي إلى درجة الدقة العلمية بيئته التي تمجد العلم وخير دليل على ذلك تأثره ب"توماس جيفرسون". فبالرغم من أنه لم يكن منتسباً لدائرة العلماء إلا أنه - أي "جيفرسون" - آمن إيماناً عميقاً بالتقدم العلمي كوسيلة لتنوير الشعب الأمريكي فكان مهتماً باكتشافات العلماء، الأمر الذي جعله يؤكد على العلاقة بين العلم والتربية وما ينجر عنها من منفعة عملية. وهو ما أشاد به "ديوي" في فضل "جيفرسون" في خلق بيئة تؤمن بقيمة العلم وتتخذ أداة لتطوير أجيالها من خلال إقحامه في الميدان التربوي. وعليه فالمنهج الذي يضعه في التربية ويلبسه الصبغة العلمية هو المنهج القائم على الخبرة التفكيرية والذكاء المنظم، ذلك هو المنهج الذي يعبر عن حياة المتعلم، والذي يقتضي في تطبيقه خطوات وشروط.

3-3 خطوات المنهج التربوي وشروطه:

كثيراً ما تحدث "ديوي" في نظرياته حول المنطق على ضرورة ربط التفكير بالنشاط فيما يسميه بالخبرة التفكيرية، ومن أجل ذلك وضع لها خطوات تشكل بصورة عامة رؤيته المنطقية والتي نستشف منها تصوره للمنهج التربوي الجديد ويمكن إيجازها فيما يلي:

1 - الشعور بالمشكلة :

وذلك من خلال إحساس المتعلم بالاضطراب والحيرة تجاه الوضع (Problimatic Situation) المقدم له نتيجة الشعور بالنقص فيه، هذا الوضع الإشكالي يتصف بالاضطراب فيدرك أن تمام النقص يكون بالتكيف مع

ذلك بصورة ملائمة حيث يدعو "ديوي" المرابي إلى الإدراك السليم للوضع الإشكالي وذلك من خلال تمييزه بين المشاكل الصحيحة والمشاكل المزيفة، هذه الأخيرة تكون مفتعلة وآتية من الخارج بصورة تسلطية تتنافى ومغزى التربية الديمقراطية لأنها تتضمن توجيهها مسبقاً إعدادياً لا يحقق الأهداف التربوية المنشودة، أما المشكلة الصادرة صدوراً طبيعياً فهي التي ترتبط بخبرة الفرد وتتعلق بمحيطه المدرسي والاجتماعي، ويعد "ديوي" هذه الخطوة الأولى في كل تربية علمية منسجمة، تهدف إلى تنمية الذكاء وتجسيد الروح الديمقراطية.

ب - عقلنة المشكلة :

في هذه المرحلة يستند الفرد في تأويله المؤقت للموقف الراهن إلى عناصر محيطه به، بحيث يبدأ التفكير بما اكتسبه من خبرة ماضية وما يعيشه من مواقف راهنة وبما ينمي فكره في حل المشكلات التي تواجهه. وبهذا يتم صياغة المشكلة بصورة عقلية سليمة ومحددة، ولا بد أيضاً من أن نشير إلى الأخطاء التي وقعت فيها التربية التقليدية لما اعتبرت أنه كلما كانت المشكلات أكثر صعوبة نمت معها قدرات التفكير؛ إلا أن السبيل السليم الذي يراه "ديوي" في ذلك هو أن تكون المشكلات. التي يتعرض لها الطفل نابعة من واقعه الذي يعيشه لا المستقبل غير المتوفر.

ج - الاقتراحات والافتراضات :

تأتي عملية اقتراح الحلول بعد عقلنة المشكلة وتحديدها، وهنا تبرز المداولة الفكرية بحيث يستطيع المرابي أن يحيط الإحاطة الوافية بكل الاعتبارات التي ترتبط بالمشكلة، وعليه أن يكون ملماً بكل الحقائق الناتجة عن التجربة الفعلية المرتبطة بالموقف المشكل وهذا ما عبر عنه "ديوي" قائلاً: "فالأفكار توجه العمليات، والعمليات تثمر نتيجةً ليست الأفكار فيها مجردة، إلا حين تصف الأشياء المحسوسة"¹. أي أن الافتراضات هي أفكار ليست تجريبية خالصة ولا عقلية تجريدية، وإنما هي أفكار وظيفية عملياتية متجددة.

د- مراعاة الفروض وتفحصه:

يتم "بصورة استنباطية على ضوء المعرفة الماضية والتجربة"²، ويقترح "ديوي" توسيع الفروض المؤقتة حتى تصبح أكثر دقة بين أجزائها باتفاقها مع أكبر عدد من الحقائق؛ فالافتراضات تظل ناقصة باعتبارها أفكار مقترحة والتطبيق هو محك اختبارها والذي يقوم على التفاعل بين الظروف المهنية والقدرات الفردية، وهو وحده الذي يؤكد

¹جون ديوي، البحث عن اليقين، مرجع سابق، ص 195.

² وليام كلي رايت، مرجع سابق، ص 516.

على صحة فروض ويسقط أخرى فينبغي هنا على المرابي أن يراعي الأنشطة التي تسمح له بالتأمل في الافتراضات الممكنة والمناسبة للمواقف المطلوبة والمستثارة.

هـ - اختبار الفرضيات المحتملة عن طريق التجريب :

هنا تتم العملية بصورة استقرائية حيث تنكشف نجاعة الفروض المناسبة للوضع الإشكالي، فتتحول إلى مواقف واضحة لا اضطراب فيها؛ غير أن "ديوي" يلح على اتخاذ الفروض الناجحة كخطة عمل وتطبيقها على الأحوال الراهنة للتوصل إلى النتائج المتوقعة، ثم جعلها حلقة أخرى يتم تطبيقها على مواقف تشابها ولكن في ظروف أخرى. وفي ذلك تأكيد واضح وصريح منه على دور الخبرة في منهجه التربوي.

تلك هي الخطوط الأساسية للمنهج التربوي الذي وضعه "جون ديوي" والقائم على الخبرة التفكيرية التي تتميز بالدقة والشمولية. هذه المبادئ تبدأ من الإحساس بالمشكلة وتنتهي بنتائج يعتبرها "ديوي" ثانوية في فائدتها طالما أن الحياة متغيرة لا تعرف الثبات. وليس من شك في أن هذا التصور الجديد يعبر بصدق عن آداتية "ديوي" لأنه جعل العلاقة بين العلم والتربية وسيلة لبناء حياة جديدة للجيل الحالي تتناسب والتطور العلمي الحاصل. على هذا النحو، تكون مهمة التربية التقدمية في فهم الواقع وتوفير الوسائل الضرورية لتسهيل تربية الطفل وجعله يتمتع بكل مراحل نموه إلى أبعد حد ممكن، "فإذا ما اشتغلت التربية بحاضر الطفل في جميع المراحل التي يمر بها فإنها بلا شك تعد للمستقبل"¹. ولما كانت هذه المهمة محمولة على عاتق المرابي باعتباره المسؤول المباشر على تطبيق المنهج التربوي الجديد الذي يعتمد على الخبرة التفكيرية والذكاء البصير ويجعل من الطفل أساس كل العمليات التربوية؛ فإن تلك المهمة لا يكتب لها النجاح حسب "ديوي" إلا من خلال الشروط التي وضعها والتي تتعلق في عمومها بالمرابي، و نذكر من أبرزها:

- الاستقامة والإخلاص في العمل : وتعني الاهتمام المباشر بالمشكلات والمواقف الراهنة حتى لا يتم إهدار جهد في سبيل إيقاظ ميولات الأطفال واهتماماتهم، وإذا ترك المتعلم على قدر قليل من الاهتمام فإن ثقته بنفسه تتضاءل، ولهذا يلح "ديوي" على تعليم الأطفال الإخلاص والاستقامة في العمل. فإذا ما تمكن المتعلمون من إبداء الاستجابات الفعالة نحو أعمالهم يكون المرابي قد نجح في مهمته لأن ذلك يعبر على مدى إخلاصهم لأعمالهم، ومن هنا يجب أن تعمل المدرسة بكل وسائلها المناسبة على خلق الميل إلى العمل.

¹ محمد لبيب النجحي، مرجع سابق، ص 20.

- **سعة الفكر** : وتعني أن المرابي يتجه توجها فكريا يمنحه الاستعداد على تدبر المعلومات والمقترحات المختلفة والمناسبة لعمله التربوي. وهذا ما وقفنا عليه مع "ديوي" حينما اعتبر الأهداف والغايات وسائل تمكن الفرد من التعامل مع وضع جديد متغير؛ فالمعارف توسع الفكر لأغراض واستجابات متجددة. أما الفكر الضيق فلا يصلح أن يكون وسيلة تربوية ناجحة، لأن ضيق الفكر والتعصب يعطلان النمو ويحجبان عن العقل تدبر الأهداف ومعرفة تأثير الموضوعات على سلوك الأطفال، من هنا انطلق في رفضه للمدارس التي ترغب في توحيد أساليب التربية بصورة مفرطة لأن في ذلك عائق لسعة الفكر ومخالفة لهدف التربية الحرة. ولهذا ركز على ضرورة التدريس الذي يهتم بسلوكيات الأطفال تجاه ما يحيط به ويقوم على تنويع الأساليب والطرق في معالجة المشكلات التي ترتبط بواقعهم؛ أما التمسك بطريقة واحدة فهو إرغام وقهر تربوي يتنافى وطبيعة التربية الحرة.

- **الشعور بالمسؤولية** : وهي استعداد الفرد لقبول النتائج المحتملة قبولا مقصودا، بمعنى.(وضعها في الحسبان وإقرارها في العمل وليس مجرد المواقف الكلامية عليها فالمسؤولية في التربية ترتبط بجوانب أخلاقية واجتماعية والمرابي مسؤول عما يقدمه للأطفال من تربية وما ينتج عنها من تصرفات، لذا ينبغي عليه الانتباه إلى عواقب كل خطوة يخطوها ويتدبر نتائج كل عمل يقوم به وتحمل مسؤولية ما يترتب عنه من نتائج ضمن هذه الشروط التي يضعها "جون ديوي" للمربين في سبيل تحقيق المنهج العلمي في التربية تبرز الروح العلمية التي تمكنهم من الابتعاد عن الذاتية والتخلي بالموضوعية. فالمرابي في تمسكه بتلك الشروط يستطيع أن ينجح في مهمته التربوية ويخلق الانسجام بين ما يقدمه من أنشطة وأعمال تربوية وبين ما يواجهه من نتائج؛ وليتمكن من ذلك دعاه "ديوي" إلى معالجة عدد أقل من الوضعيات معالجة فكرية لتجاوز الحشو في الموضوعات الدراسية والتي تقلق المرابي وتتعب المتعلم وتغيب فيها المسؤولية ويضيق معها الفكر ويعجز حينها المرابي على إتقان أعماله. في حين أن شعور المرابي بالمسؤولية الفكرية وسعة فكره والإخلاص في أعماله يرتبط بما يقدمه من موضوعات لتلاميذه. وإذا ما كان ذلك الارتباط مبني على قواعد علمية سليمة تراعي فيها ما يتماشى مع خبرات التلاميذ وواقعهم ومستوى مداركهم؛ فذلك هو من صميم التربية التقدمية.

الحقيقة التي نخلص إليها في هذا الشأن، وهي أن "ديوي" وضع تلك الشروط حتى لا يختلط الأمر على المربين في الاعتماد على الخبرة التفكيرية، باعتبارها منهجا تربويا ولا يقعون في أخطاء المنهج التقليدي المتمثلة خصوصا في التوجيه المتسلط وضعف الاهتمام بالنشاط العملي، فكانت تهدف إلى تبسيط الكيفية التي ينتهجها المرابي في تنمية الخبرة من خلال خلق الترابط بين الأنشطة التربوية وما يحيط بواقع التلميذ وما يناسب مواهبه. ولهذا فإن المنهج التربوي الجديد يتخذ من الأسلوب العلمي وسيلة تؤمن مشاركة المتعلم في التربية مشاركة فعلية، ويفعل

نشاطاته وينمي قدراته ويوسع من خبراته. ذلك هو المنهج الذي أقامه "ديوي" على الخبرة التفكيرية أو المداولة الفكرية ووضع له شروطا لتتضح صورته ويسهل تطبيقه؛ فهو الذي ينظر إليه على أنه كائن حي يتفاعل مع واقعه الدراسي ومع بيئته تفاعلا مستمرا يمكنه من اكتساب خبرات جديدة ويحقق كيانه الفردي (والاجتماعي)، وبهذا المنهج حاول "ديوي" إبراز البعد التربوي للموضوعات الدراسية واتخذ منه طريقا لبناء المدرسة المجتمع ووسيلة لتنمية المتعلم في جميع الجوانب ليكون هو الإنسان الحاضر المتطور علميا والقادر على التكيف مع المتغيرات ويمتلك الروح الديمقراطية التي توفر الفرص المتكافئة للجميع. هذا الذي جعل "ديوي" يدعو إلى اتخاذ المواد والموضوعات الدراسية وسائلًا مثيرة لأنشطة التلاميذ وهي الميزة الأساسية لطريقة التدريس في المدرسة التقدمية.

تلك هي أهم الأفكار والآراء التي جدد فيها فيلسوف الخبرة والمربي الأمريكي "جون ديوي" حيث قدم معالما تربوية جديدة ضمن إطاره الفلسفي العام، إذ تنطلق من رؤيته للطبيعة الإنسانية بكل أبعادها البيولوجية والإنسانية والاجتماعية؛ ونظر إليها على أنها متغيرة في كل جوانبها وهي نظرة علمية تنم عن تأثره بما قدمه العلم حيث تصور الإنسان الجديد بخصائص علمية وسلوكيات عملية متجاوزا بذلك التصورات النظرية. كما أضفى عليه الطابع الاجتماعي فهو يتفاعل معه ويتطور بتطوره. وأما التربية فهي الوسيلة التي تسمح ببلوغ المجتمع المتطور المنشود، إنها التربية التقدمية التي تجعل من الحياة تربية ومن التربية حياة وليس لها غاية غير النمو؛ وتقدم المتعلم على كل الموضوعات الأخرى وتجعل منه مدار كل عمل تربوي ناجح في بعده الاجتماعي والديمقراطي والأخلاقي والنفسي. فكل هذه المعالم تجسد المنظور البراغماتي لفلسفة التربية. من أجل ذلك بنى "ديوي" فلسفة للأهداف تقوم على تحديد معايير تربوية صالحة تركز على الميل والاهتمام كهدف تربوي. ولما كانت المدرسة هي المعمل الذي يتم فيه ترجمة الأفكار التربوية، كان تصوره لها يقوم على اعتبارها جزء من حياة المتعلمين لا تبتعد عن ظروفهم المعاشة تلك التي يسميها بـ"المدرسة المجتمع" تتنوع فيها الأنشطة والموضوعات ويغلب عليها الجانب العملي إذ يولي الأهمية البالغة للأعمال اليدوية.

والمنهج التربوي الجديد فيها يجمع بين التفكير والأسلوب العلمي، أقامه "ديوي" على الخبرة التفكيرية والذكاء المتبصر بما يمكن المربي من بلوغ الأهداف التي يرسمها والمتمثلة دون شك في صناعة مجتمع يساير التطورات والتغيرات التي تشهدها الحياة.

المطلب الثاني: طريقة المشروع عند جون ديوي

تعتبر طرائق التدريس من أهم العمليات الفنية التي تجمع بين الجانب النظري والتطبيقي، وذلك بإتباع خطوات منهجية منتظمة تساعد على التعلم، فهناك طرق متعددة ومتنوعة كطريقة الحوار والمناقشة وطريقة التمثيل

وغيرها إلى جانب ذلك توجد طريقة المشروع، التي تعتبر أفضل طريقة من المنظور البراغماتي والتي نادى بها جون ديوي في العملية التربوية، فما هو المشروع وما هي طريقة المشروع؟

1- مفهوم طريقة المشروع:

المشروع هو عمل متصل بالحياة يقوم على هدف محدد، وقد يكون نشاطا فرديا أو جماعيا وفق خطوات متتالية ومحددة¹.

طريقة المشروع هي طريقة للتعلم يقوم بها التلاميذ أفراد أو جماعات لجمع المعلومات خاصة لمشكلة ما، وربط هذه المعلومات واستكمال بقية الخطوات الخاصة لحل المشكلة، ويقوم المعلم بتقديم المساعدة عند الضرورة. ويعد جون ديوي أول من أسس فكرة طريقة المشروع التربوي، ويقصد بها أن يترك المتعلمين أمام موضوعات لدراستها من عدة جوانب، يكون الهدف منها بلورة مشكلة معينة يشعرون فيها بالرغبة في إيجاد دلول لها صلة بحياتهم الاجتماعية ويقوم المربي بتوفير الظروف التي تسمح للمتعلمين بالتفاعل مع تلك الموضوعات سواء كان العمل فرديا أو اجتماعيا².

كما تقوم طريقة المشروع عند ديوي على وجود مشكلة نابعة من ميول التلاميذ، ووجود هدف معين في أذهانهم يدفعهم إلى القيام بأنشطة عقلية وجسمية واجتماعية، ونشر روح الديمقراطية في المواقف التعليمية التي تؤدي إلى النمو الفردي والجماعي والوصول في النهاية إلى الحكم والتقييم. وقد عرف بعضهم المشروع بأنه موقف تعليمي تتوفر فيه الاعتبارات التالية:

- وجود مشكلة تنبع من ميول التلاميذ مباشرة بعد إثارهم وإشعارهم بها.
- وجود هدف واضح في أذهان التلاميذ، يثير فيه الرغبة الشديدة في حل المشكلات.
- قيام التلاميذ بأنشطة متعددة عقلية وجسمية واجتماعية، وهذه الأنشطة خطة تعاون التلاميذ أنفسهم في وضعها، وهذه الخطة قابلة للتنفيذ وتعمل على سد حاجة الموقف وتحقيق الغرض أو الهدف.
- يتميز الموقف التعليمي في جميع مراحلها بجموع اجتماعي ديمقراطي طبيعي، ويؤدي إلى النمو الفردي والنمو الاجتماعي.

¹عبد العزيز السيد، معجم علم النفس والتوجيه، الجزء 1، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1984، ص 84.

² البار عبد الحفيظ، مرجع سابق، ص 141.

2- خطوات طريقة المشروع:

يمر المشروع بعدة مراحل أو خطوات مترابطة فيما بينها، حيث تعمل كل خطوة على رعاية خاصة من قبل المعلم والمتعلم، ومدى اتساق وانسجام موضوع المشروع مع المتعلم، للوصول في النهاية إلى حكم على المشروع بالنجاح، وتتمثل هذه الخطوات في:

2-1 اختيار المشروع:

وهي خطة أساسية في طريقة المشروع، فنجاح المشروع يتوقف على سلامة الاختيار والذي يدل على التفكير الصحيح، ويمهد الطريق إلى النجاح ويساهم في قيمة الخبرة على أذسن وجه، حيث يتم اختيار المشروع من واقع المتعلمين ويكون متوافقاً مع ميولاتهم ورغباتهم، كما يعمل على معالجة حياة التلاميذ إذ يؤدي إلى خبرة متعددة تتلاءم مع مستوى التلاميذ، ويساهم في زيادة خبرة المتعلمين وتراعي ظروف المدرسة والتلاميذ وتوفر إمكانية العمل لدى المتعلمين في المشاريع المطالبين بإنجازها.

2-2 وضع خطة المشروع:

يعد اختيار الموضوع وتوضيح الهدف وتحديد من طرف المتعلمين بمساعدة المعلم، يوضع تصميم يحتوي على مناقشة المشروع الذي يتم اختياره وتحديد أنماط النشاط الفردي والجماعي، التي يتطلبها المشروع والقراءات والمصادر التي تفيده، والإستراتيجيات التي يعتمد عليها في المعالجة، وفي ضوء المناقشة وتحت إشراف المعلم يتفق التلاميذ على ما يتبعون في عملهم ويضعون خطة محكمة وبنون فيما يكتسبون أنماط النشاط التي يتفق عليها، وخطوات كل نوع منها واتجاهاته، ومصادر المعرفة اللازمة له والوسائل التي يتطلبها كل من الفرد والجماعة فيها، حيث يختار كل تلميذ النشاط الذي يقوم به حسب إمكانياته وميوله ضمن الخطة التي قام بكتابتها ورسمها.

2-3 تنفيذ المشروع:

وهي المرحلة التي يقوم فيها التلميذ بتنفيذ الخطة التي يتم وضعها وتسجيلها، أي تحمل مسؤولية دوره كعضو في جماعة، يتعاون مع أصدقائه لإتمام المشروع في ضوء الهدف المتفق عليه، ويهيئ المعلم الظروف الملائمة ويوجه التلاميذ على ما يعينهم على تنفيذ الخطة، دون الابتعاد عن الهدف حيث يكون المعلم مجرد مرشد ويلجأ التلاميذ إليه لمساعدتهم على حل المشكلة وتذليل الصعوبات ويوجههم ليتعلموا من أخطائهم، وفي هذه المرحلة يتحقق جانب من الشخصية المختلفة كالمهارات والميول والقدرات، ويتم توزيع النشاط على التلاميذ ليتماشى العمل مع استعداداتهم وقدراتهم .

4-2 الحكم على المشروع:

هي آخر مرحلة في طريق المشروع، ويتم فيها ملاحظة كل مراحل العمل التربوي بتدرج وهي عملية مستمرة؛ تسمح بمعرفة الأخطاء التي تم الوقوع فيها، فهي تتطلب معالجات فردية وذلك لضمان قدر كبير من فرص النجاح، لذلك يجب أن يشمل التقويم في طريقة المشروع جملة من العوامل النفسية والمهارة، والوسائل التعليمية المستخدمة فيها، ويكون بالطريقة التي يراها المعلم مناسبة؛ لأن هدف التقويم هو الكشف عن العمل المتبع في المشروع في كل مرحله، حتى يتوصل إلى الضروريات التي يحتاجها لسد النقص، فلا شك أن تكون طرق التقويم متنوعة؛ من خطوة إلى أخرى حسب ما يراه المعلم مناسب، فيطرح الأسئلة الشفوية أو الكتابة أو عرض وضعيات وذلك حسب خبرة التلاميذ وقدراتهم، والهدف من ذلك إبراز ما اكتسبه التلاميذ من خبرات وذلك انطلاقاً من كيفية توظيف هذه الخبرات وعرض أعمالهم الذين قاموا بإنجازها. وهي تتمثل في:

- تقسيم الخبرات التي اكتسبها المتعلمون والمرتبطة بالمهارات المتحصل عليها والوقوف على الصعوبات التي واجهت المتعلمين أثناء القيام بأعمالهم في كل خطوة من خطوات المشروع، وعرض الطرق التي تم إتباعها، وكذا مدى نجاح تلك الطرق أو فشلها.

- تبين النقص في وسائل التعليمية، وتحديد أسباب نقصها وتقديم الاقتراحات لتغطية النقص والعجز والأخطاء في الأعمال القادمة وتبعاً لمستويات التلاميذ والصفوف التي ينتمون إليها.

- لا ريب أن تمثل طريقة المشروع في مراحلها إحدى أهم التطبيقات التربوية الهامة حيث تأخذ مجمل عناصرها وخطواتها مما وضعه جون ديوي في التربية، وعبر عنه بالمدرسة والمجتمع، ولهذا استطاع أن يضع أسس طريقة المشروع في التدريس.¹

3- مميزات التعلم بطريقة المشروع و أقسام المشروعات:

3-1 مميزات التعلم بطريقة المشروع: تتمثل في ما يلي:

- يتعود الطلبة على البحث المنظم سواء في المدرسة أو خارجها.
- تبتث الطلبة روح التعلم التعاوني، حيث يشارك فيه الكل حسب قدراته.

¹مهندس عامر: التعلم القائم على المشروع، جامعة صغار، 2015، ص14.

- تثير في الطلبة دب الاطلاع والشعور بالمسؤولية والثقة بالنفس.
 - تساعد التلميذ على الربط بين الجانب النظري والعملي.
 - تعزيز في الطالب القدرة على العمل والنشاط الذاتي.
 - تعمل على تعديل سلوك المتعلم نحو الأفضل.
 - يعتبر المتعلم محور العملية التعليمية بدلا من المعلم، فهو الذي يختار المشروع وينفذه تحت إشراف المعلم.
 - ارتباط المواد الدراسية مع بعضها البعض.
 - طريقة المشروع تكشف عن الفروق الفردية لدى التلاميذ من خلال توفير مجموعة من الظروف¹.
- 3-2-2 اقسام المشروعات: وقد عمل جون ديوي على تقسيم المشروعات إلى أربعة أنواع تتمثل في:**

3-2-1 مشروعات إنشائية:

هي التي تتمتع بصفة علمية، وتتجه نحو العمل والإنتاج أو صناعة الأشياء مثل صناعة الزيوت النباتية أو صناعة الصابون.

3-2-2 مشروعات استمتاعية:

وهي تتمثل في الرحلات والزيارات الميدانية، التي تساهم في خدمة الدراسة مثل زيارة المتحف للاطلاع على الآثار من طريق التلاميذ.

3-2-3 مشروعات في صورة مشكلات:

وتسعى إلى إيجاد الحلول لمشكلة فكرة معقدة، أو المساهمة في حل المشكلات التي يهتم بها التلاميذ.

3-2-4 مشروعات مهارة (اكتساب المهارة):

¹ زياد سعيد بركات: إستراتيجية التعلم بالمشاريع في تنمية مهارات تصميم الدراسات المتكاملة لدى طلبة الصف العاشر الأساسي فاعلية، 2013، ص21.

تساعد التلاميذ على اكتساب مهارات علمية أو اجتماعية أو الغاية منها اكتساب مهارة أو التعرف على مهارة جديدة مثل قياس درجة الحرارة... إلخ .

وقد تكون هذه المشروعات وتطبيقاتها فردية وجماعية حسب طبيعة المشروع.

4- أهداف التعلم بالمشروع: تتمثل فيما يلي:

- زيادة الدافعية لدى المتعلمين باعتمادهم على أنفسهم وتبين قدراتهم وميولاتهم وتساؤلهم.
- تمتع بالاستقلالية المعرفية حيث يصبح الطلبة يتحملون مسؤولية تعليمهم وتطوير عاداتهم الذهنية.
- تحسين مستوى التحصيل الدراسي أي يصبح الطلبة يتمتعون بمستويات عليا في التفكير.
- وجود ترابط وتكامل بين مختلف المواد الدراسية كما يساعد على الربط بين الحياة الواقعية والمادة الأكاديمية.
- تنوع التقويم : تبين طريقة المشروع قدرات التلاميذ والمعلمون الذين يطبقون طريقة المشروع ويتعرفون على أدوار تلاميذهم أكثر مما يقدمه لهم طريقة اختبارات الورقة والقلم، وتتميز المشاريع التي تقدم لهم من بعض التلاميذ ضعيفي المستوى في الاختبارات التحصيلية أو المشاركة الصفية، ويجدون في المقابل بعض المتفوقين في الاختبار ويقدمون نشر مشاريع متواضعة وإتباع وسائل متنوعة في التقييم تقدم تقديمًا شاملاً دول التلاميذ ويبرز المتفوقين في القدرات المختلفة وليس في التحصيل فقط.
- إزالة القلق فالطالب الذي يخاف الخطأ عندما يركب جملة كإجابة على سؤال المعلم في طريقة المشروع له الحرية مما تساعده على إزالة القلق.
- المتعلم معلم الآخرين فالطالب عندما يقدم مشروعه أمام الصف ليصبح معلماً صغيراً يشرح أفكار زملائه تزداد ثقته بنفسه وزملائه به.

5- عيوب طريقة المشروع: تتمثل فيما يلي:

- تحتاج المشروعات في تنفيذها إلى تكاليف باهظة وأجهزة وإمكانات بشرية قد لا تتوفر في المدارس.
- تحتاج المشروعات إلى كفاءة فنية مدربة لديها كفاءات ومهارات وهذه الكفاءات غير متوفرة في الواقع بدرجة كبيرة (معلمين مبتكرين).

- قد يكون المشروع الذي تم اختياره مشروعاً عديم الجدوى وقليل الأهمية وتكون تكلفة الإنفاق عليه أكبر من الفوائد التي تنتج منه.

- تحتاج المشروعات في تنفيذها إلى وقت وجهد وهذا لا يتناسب مع الخطط الدراسية بالموضوعات الدراسية.

6-مزايا طريقة المشروع:

- يكون المتعلم في ظل هذه الطريقة نشطاً وإيجابياً.

- الانتقال إلى التعليم المتمركز حول المتعلم بدلاً من التعليم المتمركز حول المعلم.

- تعمل على ربط المتعلم بالحياة ومشكلاتها وتنمي فيه القدرة على حل المشكلات وتنمي لدى المتعلم القدرة على الإنتاج والابتكار .

المبحث الثالث: المنظور النقدي لمشروع ديوي

المطلب الأول: أهمية مشروع ديوي التربوي

إن القارئ لأحداث التطور التربوي في العالم المعاصر ابتداء من الفترة العشرين لا يمكنه أن يتجاهل ذلك الأثر الذي تركته فلسفة "ديوي" التربوية على التربية الغربية والعربية. وذلك من خلال الكثير من المربين في العديد من دول العالم بما فيه العالم العربي .

1- امتداد فلسفة التربية الديوية في العالم الغربي:

إن شهرة "جون ديوي" ونفوذه في الميدان التربوي نلمسها في الإشادة التي حملتها كتابات المربين المعاصرين وفي مقدمتهم تلاميذه) راندال ، إيدمان، هوك، راتز وغيرهم (ولعل أكثرهم إشادة هو "وليام كلباتريك" الذي شرح معظم أفكار أستاذه "ديوي" التربوية وقام "هوك" بمراجعة معظم مؤلفات "جون ديوي" قبل طباعتها وكذا الأمر مع "راتز" الذي جمع مقالات أستاذه ونشرها في مجلد بعنوان "العقل في العالم الحديث، ويرجع هذا الاهتمام إلى الأمريكيين عموماً بنظم التربية في أوروبا بعد الثورة الصناعية من خلال مكتب الولايات المتحدة الأمريكية للتعليم إذ منذ 1868 م وهو يهتم بشر التقارير والدراسات والإحصائيات عن نظم التعليم في البلاد الأجنبية لتستفيد منها أمريكا في تطور نظمها فرحلاته إلى أوروبا لا تخرج عن هذا الإطار حيث سافر إلى إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وتركيا والإتحاد السوفييتي سابقاً، الذي كان فيه أهم نشاط مارسه "ديوي" خارج مجال التربية والتعليم¹ .

2- امتدادات فلسفة التربية الديوية في العالم العربي:

في أواخر القرن التاسع عشر حدثت حركات إصلاحية في الوطن العربي نبهت الشعوب العربية بالتطورات التي عرفتها الحضارة العربية. فكانت بداية الاهتمام بنتائج التربية البراغماتية من خلال العمل بالتخطيط التربوي حيث يتم ربط الخطة التربوية بنواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية لكل مجتمع، وهي تلك الرؤية التي أبانت على فعاليتها في البلدان المتقدمة، كما حاولت البلدان العربية بناء سياستها التربوية على مبدأ تكافؤ الفرص في التعليم، ومنحته قيمة كبيرة للتعلم الفني والمهني، فصدر في لبنان قانون ينص على ذلك سنة 1968 م. وحدثت أيضاً في السعودية إنشاء مدارس متوسطة للإعداد الفني في نفس السنة² .

¹ أحمد فؤاد الأهواني، مرجع سابق، ص 29 .

² البار عبد الحفيظ، مرجع سابق، ص 167 .

كما كان لفلسفة التربية البراغماتية الأثر العميق على رواد التربية العربية، ففي مصر ظهر العديد من الرواد من بينهم "إسماعيل القباني" الذي تأثر "بجون ديوي" من خلال إطلاعه على تجاربه البراغماتية التربوية وأبدا إعجابه به، ولذلك عمل جاهدا من أجل مسايرة مصر نفس التطور الذي أحدثته التربية التقدمية، وفي هذا يقول الأستاذ "إسماعيل القباني" كان لفلسفة التربية أثر كبير في تطور نظريات التربية في القرن العشرين وكانت أهم العوامل التي أثرت في التوجيه حركة التربية الحديثة أو التربية التجديدية أي التقدمية، وفي هذه الحركة التي اتخذت من مبدأ التربية عن طريق النشاط شعارا لها¹.

حيث كان مسرح الأحداث هو معهد التربية الذي أنشأ عام 1929 م والذي عمل فيه الأستاذ (إسماعيل القباني) حيث اطلع على تجارب البراغماتيين التربوية واستخدم الأساتذة والخبراء وحث التلاميذ على ترجمة بعض الكتب التي كتبها البراغماتيون حول التربية، وخاصة الكتب التي كتبها "جون ديوي" حتى أصبح صوت "ديوي" يعلو كل الأصوات في ساحة التربية في مصر.

ومن جملة العوامل التي ساعدت على انتشار الفكر التربوي الجديد في مصر هي إنشاء إدارة البحوث الفنية والمشروعات عام 1955 م ومركز الوثائق التربوية سنة 1956 م. والتي كانت تعتبر دافعا قويا لبداية التجريب والبحث في أمور التربية وساهمت في التعديل الجوهرى في نظم التربية ومناهجها في مصر، وامتد ذلك إلى كل البلدان العربية بحكم المعاهدات والاتفاقيات بينهما أن المدارس للفكر التربوي المصري منذ ذلك الوقت يستطيع أن يلتمس المكانة التي خطى بها "جون ديوي" من خلال ترجمة عدد كبير من كتبه إلى اللغة العربية، ولم يقتصر هذا على رجال التربية فقط بل شارك في ذلك عدد كبير من أساتذة الفلسفة، ولعبت مؤسسة أمريكية التي يطلق عليها "فرانكين" دورا هاما في سبيل نشر الفكر الأمريكي، والتي اختلت المنطقة رغم انتشار المد الاشتراكي في مصر، كانت المدارس النموذجية مثل "النقراشي" و"الأورمان" هي بمثابة المخابر التي أجريت فيها تطبيق الآراء والأفكار التربوية البراغماتية، ويظهر هذا من خلال ما تحمله كتب إسماعيل القباني مثل "دراسات في مسائل التعليم" والتربية عن طريق النشاط" وكل هذا يبين طموحه في ركب معالم التربية التقدمية، التي وضعها "جون ديوي" في هذا الإطار يشير "عبد الفتاح المنياوي" في عرض مقدمته لكتاب "مدارس المستقبل" ديوي حينما أكد أن "إسماعيل القباني" أنشأ عام 1932 م مدرسة ابتدائية جديدة تختلف عن المدارس التقليدية في مصر.

¹ أحمد فؤاد الأهواني، مرجع سابق، ص 65.

ويصل عبد الفتاح الميناوي" إلى أن هذه المدرسة التجريبية هي بمثابة الدم الجديد الذي يسري في عروق المرين والمتعلمين، وهو يعطي الأهمية الكبيرة إلى جانب العملي في التربية وهو ما أثمرته نتائج ناجحة منذ تأسيس المدرسة إلى يومنا هذا .

بناء على ما سبق، دعا رجال التربية في مصر وعلى رأسهم الأستاذ" محمد يوسف "وزير التربية والتعليم آنذاك بالاهتمام والعناية بالمدارس التجريبية، لما لها من نتائج قيمة في كثير من المجتمعات وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، مما يعني أن التربية في الوطن العربي بدأت تمهد طريقها إلى التربية التقدمية وأصبح روادها مستوعبون للمبادئ التي جاء بها" ديوي " إذ حاولوا تطبيق بعض منها بما يناسب الوضع الاجتماعي الراهن وبما ساعد على تغييره، وإدراك القائمون على التجربة في مصر بأهمية المدرسة التجريبية التي أسسها "إسماعيل القباني " وحاولوا عزل الفصول التجريبية على معهد التربية الذي أسس عام 1923 م عن طريق وزارة المعارف العمومية، حيث تم ذلك سنة 1939 م . أي سبع سنوات بعد إنشاء المدرسة التجريبية، وأطلق عليها اسم جديد" المدرسة النموذجية " وكان من وراء هذا التقديم للمدرسة ومازالت موجودة فجعل" المدارس النموذجية " متميزة وهو الذي يدعو المتعلمين على الإقبال عليها ويحثهم على الابتعاد عن كل ما يرتبط بالتربية التقليدية.

ويظهر تأثير التربية البراغماتية على المدارس العربية من خلال تركيبة الفصول فيها وارتكازها على تنمية القدرات العقلية وخاصة الذكاء، فإن التأثير يبدو جليا من خلال المناهج الدراسية التي اعتمدها، إذ سعى الأستاذ "القباني "على ربطها بالواقع الاجتماعي واحتياجات البيئة، ففي هذا يتبين التوجه الجديد الذي يهرب من المناهج التقليدية والذي يعتمد على ما تحتويه الكتب والمقررات الدراسية والمعارف النظرية المجردة، والتي تعمل عن طريق المشروعات التي تقودهم إلى البحث والعمل في الكثير من الأماكن التي تحيط بهم كأن يخرجوا إلى الحدائق ومكاتب البريد والمستشفيات ومحطات القطار وغيرها، فيتمكنوا من اكتساب مهارات يدوية ومعرفية، وبفضل تلك المناهج الجديدة يعتمد على الجوانب العملية التطبيقية أكثر من ارتكازه على النواحي النظرية .

ومن مصر إلى العراق حيث نجد رجال التربية في محاولة تجسيد ملامح التربية التقدمية، من خلال التشريعات والقوانين التي تسعى إلى تفسير المناهج وتحديثها، في مجالات التعليم العام والتعليم المهني وتكوين المعلمين، لجعل النظام التربوي العراقي يتصف بالمعايير التقدمية والتركيز على ديمقراطية التعليم، ومتابعة التجديدات التربوية العالمية وتجريبها ميدانيا مع ما يناسب البيئة العراقية وتعميمها في ضوء نجاحها . كما بدأت رغبة رجال التربية في العراق " منذ مطلع القرن العشرين في بلوغ ما بلغته التربية التقدمية من خلال الاتجاهات الرئيسية للسياسة التربوية، التي عملت على رسم أهدافها للوقوف في وجه المشكلات التي تواجه النظام التعليمي العراقي عن طريق

أسس علمية متطورة تلائم التقدم الذي عرفته المناهج التربوية، وهذا الإصلاح التربوي يبدو في صورة من خلال اعتمادها على جملة من المبادئ التربوية الديمقراطية، والسعي إلى مدرسة المجتمع وجعل الأنشطة الدراسية المرتبطة بقضايا الحياة ومعالجتها، ولكن عدم النجاح أو تحقيق الغايات يرجع إلى مجموعة من الظروف السياسية والاجتماعية التي تجبر كل مجتمع وتحدد توجهاته أدرك القائمون على التربية من خلال المؤتمرات المختلفة ح ول أوضاع التربية والتعليم على أن الإطلاع على ما قدمه رواد التربية البراغمانية أصبح ضرورة ملحة تساعد على إصلاح المناهج في الوطن العربي، تلك المؤتمرات بينت لهم التقدم الذي وصلت عليه التربية الحديثة في مناهجها وطرق تدريسها¹.

المطلب الثاني: انتقادات الفكر التربوي عند جون ديوي

تتركز بداية الانتقادات على توجه "جون ديوي" الفلسفي في تصوره للتربية، التي جعلها أداة في سبيل المنفعة وبالتالي لم يكن يضع في اهتمامه القضايا التي ليست لها نتائج عملية واستبعادها من دائرة القضايا الصحيحة، وأما رفضه لكل المحاولات التي تهدف إلى اكتشاف نظام أزلي بعيدا عن الأحداث المتغيرة التي تشكل الخبرة فهو رفضه للمطلق والأزلي والحقيقة الثابتة الفارغة غير أنه عاش كثيرا متأثرا بفلسفة "هيغل" المثالية المطلقة والتي ظلت بارزة في الكثير من أفكاره الفلسفية والتربوية ولعل استعماله لمصطلح "الخبرة" بطريقة شاملة يقربه من المثالية والميتافيزيقية، فنظريته الفلسفية لا تركز على الجانب الروحي في الإنسان وتبالغ في الاهتمام بما هو مادي في الحياة والكون وتنظر للإنسان على أنه قابل للتجريب كما لو كان شيئا،² هذه المؤاخذات انعكست على تصوراته في التربية.

إنّ فلسفة ديوي، قد بدأت سيكولوجية وبيولوجية تربوية لتتحول إلى منهجية منطقية معرفية، فتذهب بعدها اجتماعية سياسية أخلاقية وتنتهي إلى جمالية فنية، كذلك تع لم من كلّ الفلسفات التربوية التي قام بالاطّلاع عليها، وجعلته يرتقي إلى درجة الفلاسفة العظماء، من خلال إدخاله روحًا جديدةً إلى الفلسفة الحديثة ، ونظرته إلى المنطق وذلك عن طريق المناهج الإصلاحية في التربية، كما أكّد على أهمية الديمقراطية في بناء المجتمعات وخاصة التربية إلّا ودعوته إلى التوسع الشامل في العلم بشأن الإنسانية. إنّ كلّ ما قدّمه ديوي في جميع أأنّه واجه الكثير من الرفض و الانتقاد.

¹ البار عبد الحفيظ، مرجع سابق، ص 179 .

² المرجع نفسه، ص 189 .

إنَّ أهمَّ الانتقادات التي وجهت لديوي على توجهاته الفلسفية، في نظريته للتربية التي جعلها أداة في سبيل فنظريته الفلسفية تتركز على الجانب الروحي في الإنسان و تبالغ في الاهتمام بما هو مادي في الحياة « المنفعة ، و كان لفلسفته أثرٌ كبير في تطور النظريات « والكون و تنظر للإنسان على أنه قابل للتجريب كما لو كان شيئاً التربوية.

فالإنسان لا يربي نفسه بنفسه عن طريق الخبرة « اعتبر جون أنَّ الخبرة هي وحدها التي تقوم عليها التربية المجتمع وهذا لا يضع أننا حين تربيته وتعلمه في حسابنا نفسيته من رغبات وإتّما يربي، و يُعدّ ليكون فردًا صالحًا في ، فهو يتركز على الخبرة الذاتية للفرد والتي تعتبر « وميول وعواطف وحاجات، وأن نجعل التربية تسير هذه النفسية وسيلة لمعرفة العالم الخارجي، و هذا ما يُؤدّي إلى تقديم الفرد للمعرفة بدلاً من أن تقدّم المعرفة له.

كما نجده يرفض أن تكون التربية علما بتراث الماضي أو إعدادا للمستقبل، وكما أنّها لا تخضع إلا للخبرة ولكن تراث الماضي جزء من شخصية الفرد كما أنه جزء من شخصية الأمة وهناك أمور لا بد من تعلمها من جملة الحياة، وديوي ينتقد المفكرين الانعزاليين عن الواقع ورغم هذا يلقي المتعلم فقط في أحضان الخبرة، وهذا أدى إلى الاستخفاف بالماضي وقيمة التراث القديم في المدارس الحديثة، مما جعل الأمريكيون أنفسهم يعارضون مثل هذه النظريات، لأن في هذا انقطاع لصلة الإنسان بماضيه وبالحضارة الإنسانية. ولذا أنّ الاعتماد على رغبات الفرد الطبيعية في اكتسابه للمعارف والمهارات فهو في حدّ ذاته سبب رئيسي في ضعف المستوى التعليمي ونقص في تنمية الكفاءات فالمثل العربي يقول الحقّ إنّ العالم الذي نعيش فيه اليوم بعد تقدّم العلوم هذا التقدّم الهائل، وبعد انتشار التعليم، بحيث أصبح عامًا لجميع الأفراد، يقتضي أن نحمل الناس على التعلّم، ولا يمكن أن نتركهم على هواهم، والعلة في ذلك أنّ مصلحة الدولة حديثًا تتطلب أن يكون مستوى جميع أفرادها في العلم مرتفعًا، حتّى تستطيع أن تتبوأ ما تزيد ، فاعتبار المدرسة مؤسسة اجتماعية يجب أن تتوفر فيها كلّ الوسائل المتاحة « .من منزلة بين الدول وعليه كان ديوي قد ركّز على الجانب العملي والنفعي، و أهمل الجانب النفسي للطفل في التربية، حيث أصبح توجهه التربوي يقوم على جعل المتعلّم يستفيد منه بطريقة براغماتية على أساس كلّ العملية التعليمية، وإيمانه بالتغيّر و جعله سمة من سمات فلسفته التربوية، و الذي لاقى الكثير من الرفض.

و تطبيقها على أكثر أجزاء الحقيقة قدمًا، فلقد كانت « كان جيمس يرفض فكرة ديوي في تعميم الملاحظة هذه الأجزاء أيضًا، ذات يوم مرنة وعجينة، وسميت أيضًا صحيحة أو حقيقية لأسباب ودواع إنسانية، و هي أيضًا توسطت بين حقائق أسبق منها وملاحظات اعتبرت في تلك الأيام جديدة... الحقيقة التي تُؤدّي في إرسائها ورسوخها أي دور مهما تكن وظيفة منح الرضا والاكتفاء و الإشباع الإنساني في تزويج الأجزاء السابقة

من الخبرة بالأجزاء الجديد اللاحقة، فهذه حقيقة لا وجود لها في أيّ مكان على الإطلاق¹، فلا تكون الحقيقة واحدة عند جميع الناس، بمعنى أنّ الفكرة قد تصحّح عند البعض و لا تصحّح عند البعض الآخر، و يجب أن تكون موافقة لأفكارنا بلا قيد أو شرط.

أما بالنسبة لمفهوم الخبرة نفسه يحمل غموضاً كبيراً، إذ كان "ديوي" يقر أن تكون الخبرة شيئاً ذهنياً أو فيزيائياً فمن الصعب تصور كيف يمكن للخبرة أن تستمر بذاتها في الكون بدون أن تكون خبرة ذهن معين أو أذهان تمتلكها، وافترض أن خبرة ما تكون متضمنة داخل عدد من الأذهان يتضمن نوعاً من المثالية التعددية ولا يوجد أي شيء في كتابات ديوي يحتوي ميوله إلى هذه المثالية، حتى أنه يمكن استبعاد مثل هذه الفرص في حال فرضنا أن كل خبرة تكون متضمنة بداخل ذهن واحد فتكون مثالية مطلقة مثل مثالية رويس ويرفض ديوي هذه المثالية طبعاً، ولكن نحن نعرف أن بدايته كانت هيكلية جديداً، أي من أنصار المثالية المطلقة، ولقد ظن بعض منظري "ديوي" أنه أبقى على غفلة منه على كلمة "خبرة" في مفردات لغته اللاحقة على رفضه المطلق أي أنه كان بصورة تنطوي على مفارقة" فيلسوفاً مثالياً مطلقاً لم يعد يعتقد في المطلق" وهذا بسبب استخدام فردا صالحاً في المجتمع، ولا يمنع هذا أن نراعي أثناء تعليمه ميولاً ته ورغباته وحاجاته النفسية، رغم أن هذا من الأمور التي تحمد في فلسفته .

كما واجه الكثير من الهجمات القاسية، وخاصةً هجوم راسل في ما يخص تحديد معنى الصدق، حيث لعلّ هذه الكلمة في استعمالها المأثور تميل إلى أن تدلّ: « يتحاشى ديوي كلمتي الصدق و الصادق معاً أن يقول ا تدلّ على شيء فوق متناول الإدراك على التطابق، إمّا إذا كان الأمر كذلك فليس لديّ ما أقوله سوى أ، و عليه كانت فكرته أنّ الصادق هو ما يُفيد أيّ وصف المعايير التي يجب أن تُؤدّي إلى نتيجة مناسبة» تماماً نصل إليها بفضل العملية التي وصفناها.

أمّا راسل في معارضته له يقول: «أنكّرة الصدق عن طريق التطابق لا مناص منها رغم ما فيها من صعوبة، أو زعمه أنّ ديوي يدخل فكرة الصدق عن طريق التطابق من النواخذ الخلفية خلصة في الوقت الذي، لأنّ ديوي يرى بأنّ معيار صدقه فكرة ما يكون من خلال ما ينتج عنها» يتظاهر بإخراجها من الباب الأمامي من نتائج ملموسة أي جعل المنفعة معيار الصدق و الحقيقة أن المنطلقات التي تعتمد عليها التربية الديوية رغم ما فيها من عيوب لا بد من أخذ محاسنها التي لازالت ترسم بصماتها حتى الآن، ومؤلفاته التي تملأ مكتبات العالم خير دليل

¹وليام جيمس، البراجماتية، تر: محمد علي العريان، تح: زكي نجيب محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008، ص 86.

على إسهامه الكبير في ميدان التربية، ولهذا وجب الاستفادة من هذا النسق التربوي العظيم، إن "ديوي" خلق صرح في ميدان التربية لازال قائما إلى يومنا هذا

ومنه فان التربية الديوية لا تتوافق مع عقائد وثقافات الكثير من المجتمعات. إلا أن لها أهمية بالغة ومفيدة في حاضرنا ومستقبلنا ، وهي التي وضعت بصمتها التربوية التي لا يمكن جحدها في أي ظرف من الظروف، ولعل ما خلفه "ديوي" من آثار ومؤلفات يثبت لنا مدى إسهاماته في ميدان التربية والتعليم، كما فيها الكثير مما يسمح الاستفادة منه في منظومتنا التربوية إذا أحسنا استغلالها وفهمها وتطبيقها لأننا نعيش في عالم، يسوده التقدم والتطور العلمي والتكنولوجي، ويمكن الاستفادة مما قدمت التربية البراغماتية في الميدان التربوي وذلك بالاعتماد على الأسس العلمية والتركيز على أهم دعائم تقوم عليها المجتمعات من إيمان بروح الديمقراطية والقيم الأخلاقية حتى يتحقق الإصلاح الاجتماعي في شتى أنحاء العالم.

خلاصة الفصل :

نخلص في هذا الفصل إلى أن "جون ديوي" وضع جملة من الشروط التي لا يختلط الأمر على المربين في الاعتماد على التفكير باعتباره منهجا تربويا، بحيث لا يعتمد المربون على أخطاء المنهج التقليدي الذي يتميز بضعف النشاط العملي وغيرها؛ حيث كان هدف التربية التقدمية تنمية الخبرة، وذلك من خلال خلق ترابط بين الأنشطة التربوية وما يحيط بواقع التلميذ ويتناسب مع قدراته، لهذا فإن المنهج الذي اتبعه "جون ديوي" يعتمد على الأسلوب العلمي، كما دعا إلى ضرورة المشاركة في الفعل التربوي، بحيث يعمل المتعلم على جملة من النشاطات التي ينمي فيها قدراته ويوسع خبراته كما اعتمد على طريقة بناء مدرسة المجتمع الحاضر المتطور والمتقدم علميا، كما سعى إلى جعله قادرا على التكيف مع متغيرات المجتمع، ويملك روح الديمقراطية بإعطاء الفرص للجميع، وهذا ما جعل "جون ديوي" يدعو إلى الاعتماد على المواد والموضوعات الدراسية ووسائل وطرق وأنشطة التلاميذ وهذا أهم ما يميز هذه الطريقة في التدريس في المدرسة التقدمية، ولما كانت المدرسة هي المعمل الذي يتم فيه ترجمة الأفكار التربوية وجعل كل ما يقوم به يعتمد على حياة المتعلمين، ولا يبتعد عن ظروف الحياة التي يعيشونها، تلك التي يطلق عليها "جون ديوي" مدرسة المجتمع، حيث تختلف في الأنشطة والموضوعات وتمتاز بالجانب العملي، إذ يعطي أهمية كبيرة للأعمال اليدوية وطريقة المشروع والمنهج التربوي الجديد الذي يعتمد على التفكير والأسلوب العلمي بناه ديوي على الخبرة التفكيرية والذكاء، التي يتمكن المربي من بلوغ الأهداف التي يرسمها، والمتمثلة دون شك في بناء مجتمع يواكب التطورات والتغيرات التي يشهدها العصر.

الخاتمة

الخاتمة:

من خلال هذا البحث استطعنا أن نخلص إلى أهم النتائج التي بنى عليها ديوي فلسفته التربوية ومعلمها وتطبيقاتها، وأهم تأثيراتها في العالم الغربي والعالم العربي كما بينا رؤيته البراغماتي والأداتية في التربية بكل ميادينها ومناهجها ووسائلها وطرقها وهذا من أجل إحداث التغيير في الواقع وبناء المجتمع الذي يتكيف أفراده مع كل التغييرات التي تطرأ عليه؛ ومواكبة التطورات التي أحدثتها التقدم العلمي والصناعي؛ وهذا ما أكد لنا أن أفكار "ديوي" في التربية نابعة من حياته ومجتمعته إلى ضرورة بناء التربية الديمقراطية على أسس علمية.

وأن ما قمنا به في هذا البحث أدى بنا إلى الوصول إلى نتائج مختلفة ومتنوعة، ولقد توصلنا على رغبة ديوي المصرة في بناء المجتمع المعاصر الذي يتماشى والتطورات التي أنتجها التقدم العلمي والتكنولوجي وإصراره على اختيار أفكاره الفلسفية، ومن ثم إعادة بناء التربية على الأسس الفلسفية البراغماتية حيث كانت نظرة ديوي للتربية نظرة فلسفية والتي تعلن عن رفضها للفلسفات التقليدية التي تعتمد على التوصية والتلقين وهذا الإلغاء يبين لنا أن فلسفة ديوي تتميز بالتغيير والتجديد والاستمرارية وهذا ما جعلنا لا نفرق بين نظريته في التربية ونظريته الفلسفية حيث جعل منهما في حركة مستمرة، لأن الطريقة البراغماتية تربط بين الأفكار وما تحققها من منافع ولقد وجدناه أفضل من استخدم منهجه في موقفه من النظريات التربوية السائدة حتى يكيفها على الطريقة البراغماتية الأداتية وأحسن استغلالها وهذا ما ساعده على بناء معالم تربوية جديدة بحيث تتناسب ووظيفة الفرد والمجتمع والواقع.

وفي طرحه المنهجي هذا كان يبرز الأثر السلبي للنظرة الميتافيزيقية التي طبعت كل الميادين الحياتية بما فيها المجال التربوي والاجتماعي، ويدعو إلى إحلال محلها الأسلوب البراغماتي، حيث أكد في الكثير من المواقف أن العيب الذي سقطت فيه النظريات التربوية السابقة هو اصطباغها بالصبغة المثالية المجردة والتي أنتجت مجتمعا يعيش في الخيال أكثر مما يعيش مع واقعه.

وأما فيما يخص المرتكزات العلمية والمنطقية فيتجلى إيمانه العميق بما قدمه العلم ونظرياته. لهذا كان شديد الإلحاح على ضرورة الاصطناع العلمي في كل الشؤون الإنسانية بما فيها التربية، هذا الذي جعل فلسفته التربوية متميزة بطابعها العملي والعلمي. وفيما يخص أهم المرتكزات الفلسفية والمنطقية فإنني توصلت إلى أنها لا تخرج على النسق البراغماتي فهي تركز على فلسفة الخبرة والتي لم يكن متطرفا لها كما يعتقد الكثير لأنه حاول الاستفادة بالخبرات الصالحة أو كما يسميها بالخبرات المربية ورفض غيرها من الخبرات لأنه يريد بلوغ الإنسان الفعال، فهي تساعده على استغلال الحاضر واستثماره لتجاوز المشكلات التي تعترضه في واقعه .

وأما منهجه المنطقي فوضع له خطوات يلتزم بها الفكر السليم في انطباقه مع نفسه ومع الواقع، تلك الخطوات توازي خطوات المنهج التجريبي الشهيرة، ومعها تبرز نتيجة أخرى في غاية الأهمية وهي أن منهجه الأداتي كان ملازماً لكل تصورات الفلسفة والعلمية والمنطقية، لأنه هو الطابع العام لفكره عامة. فكل الأفكار مهما تنوعت في التربية والفلسفة ما هي حسبها إلا أدوات لنتائج نافعة وعملية، كيف لا وهو الذي استفاد مما قدمه أفلاطون وروسو وهربرت وفروبل في التربية حيث عزل عيوبها وجعل من محاسنها أدوات لبناء فكره التربوي، فهنا يتجلى بصدق أسلوبه الأداتي يراعي الجوانب الموضوعية في تقديم الأنشطة التربوية التي تشكل أسلوب التعليم بالعمل فقدم الخطوط العريضة لمنهجه مستندا على خطوات منهجه المنطقي الذي يرتبط بالتفكير الراجح والسليم إذ يقوم منهجه في التعليم على طريقة حل المشكلات التي تنطلق من وضع المتعلم أمام المشكلة التي تعترضه ليتفاعل معها لتنمو قدراته باحثاً عن الحلول، تلك الخطوات تعزز ثقته الكبيرة في المنهج العلمي، ولعل منهج الذكاء الذي ينطلق فيه من نظرتة إلى العقل من حيث أنه جزء من الطبيعة يخضع لها كما تخضع له ظواهرها من تغيرات وتحولات إنما يوحي بتلك الثقة التي جعلته يصبر على إقحام العلم في ميدان التربية، ولم يكن ذلك الإصرار لو لم يرى فعالية العلم الحديث في الظواهر الطبيعية.

نتيجة أخرى تتمثل في أن طريقة المشروع باعتبارها إحدى أهم تطبيقات التربية البراغماتية قد نجحت وأدت إلى تحقيق الأهداف التربوية المرجوة رغم الاعتراضات الموجهة لها، بدليل الإقبال المنقطع النظير للمدارس اليوم نحو التدريس بالكفاءات والتي تعني إبراز القدرات الكامنة في المتعلم وتكييفها مع ما يحيط به من اهتمامات تشغله وتشغل حياته الاجتماعية، وهي تقتضي تهيئة كل الوسائل التربوية بما فيها المدرسة بما يساعد على بلوغ ذلك وهو ما تضمنته فلسفة "ديوي" التربوية، فكل ما تطمح إليه التربية اليوم هو ترجمة لمعالم التربية التقدمية، إذ أصبحت القاعدة الأساسية لكل إصلاح تربوي يسعى لمسايرة التغيرات العلمية والاقتصادية والاجتماعية المتطورة داخل الولايات المتحدة الأمريكية وخارجها.

في الأخير نستطيع أن نقول أن فلسفة التربية عند "جون ديوي" لها مبادئها وقواعدها التي أنتجت نظريات تربوية تتميز بطرائقها التقدمية والعلمية والديمقراطية كان لها الأثر الضخم والعظيم على التربية في الولايات المتحدة الأمريكية وخارجها، وأما ما لحقها من اعتراضات إنما يدخل في إطار الأثر الذي تركته على الفكر التربوي عموماً إذ تدخل تلك المؤاخذات في نسق التعديلات التي يجب أن ترتبط بكل نظرية تربوية حتى تواكب التطورات الحالية.

التوصيات:

- يجب أن تبنى فلسفة التربية على أهداف حقيقية، تلك التي تصاغ منهجيا، و تتوافق مع السلوك الذي يمثله و ينبغي أن يصل إليه المتعلم
- يجب أن تركز على التربية التي تتماشى والجوانب النفسية في المتعلم، و تؤدي الكفاية الاجتماعية
- أن تكون لغة أهدافها التربوية علمية تعبر عن الواقع تعبيرا موضوعيا لا ارتجاليا، لغة تستند إلى البحث والتحري والدراسة، حتى تتوفر على الطاقة التي تجعلها مفعمة بالحياة، لتأخذ طابعا إجرائيا، وتجعلها قابلة للتجربة.
- ينبغي أن يتوفر الوعي التربوي والفلسفي لدى المنشغلين بميدان التربية، وأن تتوفر لديهم الإرادة الحقيقية لبناء تربية عربية ناجحة مثلما هو في الواقع الأمريكي ، هدفها تكوين الإنسان الفعال والنشيط والقادر على التكيف مع التطورات الحاصلة، والمؤمن بمبادئ الديمقراطية، والقادر على ترجمتها في حياته.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

أولاً: المصادر

1. جون ديوي ، وإيفلين ديوي، مدارس المستقبل، ترجمة، عبد الفتاح المنيأوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1962 .
2. جون ديوي، المدرسة والاجتماع، ترجمة ديمتري قندلفت، مطبعة المعارف، القاهرة، 1928 .
3. جون ديوي، المدرسة و المجتمع، تر :أحمد حسن الرحيم، مراجعة :محمد ناصر، تصدير :محمد حسين آل ياسمين، دار مكتب الحياة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1978 .
4. جون ديوي ، تحديد في الفلسفة ، ترجمة أمين مرسي قنديل، مراجعة زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، 1947 .
5. جون ديوي، التربية في العصر الحديث، ج 1 ، ترجمة عبد العزيز عبد المجيد و محمد حسين المقرجي، مراجعة محمد بدران، مكتبة النهضة المصرية، 1949 .
6. جون ديوي، الخبرة والتربية، ترجمة محمد بسيوني ويوسف الح مادي، دار المعارف بمصر، 1954 .
7. جون ديوي، البحث عن اليقين، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، دار إحياء الكتب العربية مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة – نيويورك، 1960 .
8. جون ديوي، التربية والديمقراطية، ترجمة منى عرفاوي، زكرياء ميخائيل، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2 ، القاهرة، 1953 .
9. جون ديوي، المبادئ الأخلاقية في التربية، ترجمة عبد الفتاح السيد هلال، مراجعة أحمد فؤاد الأهواني، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966 .

ثانياً: المراجع باللغة العربية

أ. الكتب:

10. القرآن الكريم، سورة القصص، الآية 77 .
11. أفلاطون، جمهورية أفلاطون، دراسة و ترجمة فؤاد زكرياء، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004 .
12. أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي :نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، القاهرة، ط3 ، 1968 .

13. أحمد الحكيم كرام و آخرون، محاضرات في فلسفة التربية، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب و العلوم الإنسانية، قسنطينة، 2004 .
14. أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية ، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت ، باريس، 2001.
15. إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983 .
16. الرئيس شارل الحلو، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ج 1 ، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1992.
17. بيتكاز، تاريخ الفلسفة في أمريكا خلال 200 عام، تر: حسني نصار، مراجعة مراد وهبة، مكتبة الأنجلومصرية، مصر، 2000.
18. براتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، تر: محمد فتحي الشنيطي، دار المصرية العامة للكتاب، 1977 .
19. دافيد ومارسيل، فلسفة التقدم، ترجمة، خالد المنصوري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1974 .
20. ول ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، تر: فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت - لبنان، 2004.
21. وائل عبد الرحمن التل، أحمد محمد شعراوي، أصول التربية الفلسفية و الاجتماعية و النفسية، دار الحامد للنشر و التوزيع، عمان، 2007.
22. وليام كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة محمود السيد أحمد، دار التنوير، بيروت، ط 1 ، 2010.
23. وليام جيمس، البراهماتية، تر: محمد علي العريان، تح: زكي نجيب محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008 .
24. زياد سعيد بركات : إستراتيجية التعلم بالمشاريع في تنمية مهارات تصميم الدراسات المتكاملة لدى طلبة الصف العاشر الأساسي فاعلية، 2013.
25. زكي نجيب محمود: من زاوية فلسفية، دار الشرق ، القاهرة ، 1993 .
26. حيرش سمية، البراهماتية بين العقل و التصوّف، مجلة لوغوس الفلسفية، دار الكنوز، تلمسان، العدد التجريبي، أفريل 2011.
27. يحي هويدي، قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، 1993 .
28. كوثر عبد الرحيم شهاب الشريف، المنهج البراهماتي والتطبيق التربوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001.

29. محمد لبيب النجيجي، مقدمة في فلسفة التربية ، دار النهضة العربية بيروت، 1992 .
30. محمد عبد الرزاق شفشق، الاصول الفلسفية للتربية، دار البحوث العلمية، الكويت، ط4، 1986
31. محروس سيد مرسى، التربية والطبيعة الإنسانية في الفكر الإسلامي وبعض الفلسفات الغربية، دار المعارف القاهرة، 1988.
32. محمد جديدي، فلسفة الخبرة : جون ديوي نموذجًا، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2004.
33. مهند عامر :التعلم القائم على المشروع، جامعة صغار، 2015.
34. نجيب الحصادي، تقرّظ المنطق، منشورات جامعة قاديونس، بنغازي، ط1، 1995 .
35. عبد الراضي إبراهيم محمد عبد الرحمان، دراسات في فلسفة التربية المعاصرة، دار الفكر العربي، القاهرة، 2002.
36. عبد الأمير ز. شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرقي، الشركة العالمية للكتاب ، المدرسة، الإسكندرية، 1991.
37. عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، الفصل السادس من الكتاب الأول، تحقيق حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، 2002.
38. عبد المجيد عبد الرحيم، التربية والحضارة، مكتبة النهضة المصرية، 1966 .
39. عبد العزيز السيد :معجم علم النفس والتوجيه، الجزء 1 ، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1984 .
40. فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجبل، بيروت، ط1 ، 1993.
41. فريدة غيو، اتجاهات و شخصيات الفلسفة المعاصرة، دار الهدى ، عين مليلة، 1999 .
42. فؤاد زكرياء، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل بيروت، ط1، 1993 .
43. صادق سمعان، الفلسفة والتربية (محاولة لتحديد ميدان فلسفة التربية)، دار النهضة العربية، القاهرة، 2001.
44. رالف ن وين، قاموس جون ديوي للتربية :مختارة من مؤلفاته، مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر، القاهرة، 1964.
45. شبل بدران وأحمد الفاروق محفوظ، أسس التربية، دار المعرفة الجامعية، 2000 .
46. تشارلس موريس، رواد الفلسفة الأمريكية، تر :إبراهيم مصطفى إبراهيم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1996.

47. تد هوندرتش، دليل أكسفورد للفلسفة، ج1 ، تر :نجيب الحصادي، المكتب الوطني للبحث، ليبيا، 1998.
48. توفيق أحمد مرعي، محمد محمود، المناهج التربوية الحديثة :مفاهيمها و عناصرها و أسسها وعملياتها، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1 ، 2000.
49. خلف الجراد، معجم الفلاسفة المختصر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2007 .

ب. الرسائل و الاطروحات

1. البار عبد الحفيظ، فلسفة التربية عند جون ديوي، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في الفلسفة كلية العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010 .

ثالثا: المراجع باللغة الأجنبية

A. LES OUVRAGES

1. Gérard Deledalle, La Philosophie Américaine, éditions L'Age, Suisse, 1983.
2. Gaston Berger, **L'Home moderne et son Education**, Presses Universitaire de France, paris, 2ème édition, 1967.
3. Ludwig Marcuse, **La Philosophie Américaine** ,Traduit de L'allmande par Daniel Boher, Edition Gallimard, 1967.

الملخص

موضوع هذا البحث "فلسفة التربية عند جون ديوي"، هذا الأخير الذي يعتبر من أهم رواد الفلسفة البراغماتية، فمن خلال خبرته الفلسفية التربوية الحظ أن نظرتة للتربية بعيدة عن نظرتة الفلسفية، إذ اعتبر هذه الأخيرة نظرية عامة في التربية وجعل كل منهما شديد الارتباط بالحياة الاجتماعية. فهو يقر بتغير الفلسفة في معناها ووظيفتها ويؤمن بتجدد التربية في مجالاتها حتى يأخذ كل منهما طابعه الفعلي والواقعي بعيدا على التصورات الميتافيزيقية حيث جعل التربية هي المخبر والمحك الذي يقف على صدق التصورات الفلسفية والتربوية ومدى نجاعتها واعتبر فلسفة التربية هي استخدام الطريقة الفلسفية في التفكير حول المسائل التربوية، كيف لا وهو الذي أكد على أن الفلسفة هي النظرية العامة في التربية.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة، التربية، البراغماتية، جون ديوي، طريقة المشروع.

The summary

The subject of this research is "The Philosophy of Education in John Dewey". The latter is considered the most important in pragmatic philosophy and through his experience in the philosophy of education has noticed that his opinion on education is far from his bank on philosophy, he considers the latter to be a general dream of education and he made of the two chased an important link with social life and he admits the change of philosophy in sense and function and he believes in the renewal of education in his fields, so that they take in imaginary and subjective considerations of metaphysics he made education a laboratory which is based on the verification of philosophical and educational concepts and the consideration of the philosophy of education is the use of the method of philosophy in the thought around questions of education and it was he who also showed that philosophy is a theory of education.

Keywords: Philosophy, education, pragmatism, John Dewey, project method.